الأخبار
al-akhbar

السبت 8 آب 2026
العدد 5845 السنة العشرون
Samedi 8 Août 2026 no 5845 20ème année

www.al-akhbar.com

24 صفحة
100000 ليرة

كلمات

«الأوديسة»... اثنا عشر امتحاناً في طريق العودة إلى الذات

كرم تبرع للعدو بتفتيش 40% من منازل كل الجنوبيين

واشنطن: الملفات مؤجلة لما بعد انتخابات إسرائيل

2

خليج ما بعد الحرب

السعودية تحضّر نفسها

8 - 9

ولي العهد السعودي، محمد بن سلمان، والرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، ورئيس وزراء باكستان، شهباز شريف، أثناء حفل توقيع «اتفاقية مكة للدفاع المشترك» (أ ف ب)

أحوال الناس

من يوثّق الإبادة البيئية وسرقة قوات الاحتلال لزيتون الجنوب؟

4

انطلاق ورشة إزالة الأنقاض وتعبيد الطرقات ومسح الأضرار

5

البحر يضيق بصيادي صور: إسرائيل تحاصرهم وتمنع رزقهم

6

المشهد السياسي

من فوّض كرم القبول بتفتيش منازل اللبنانيين في كل جنوب الليطاني؟

واشنطن للمفاوضين: لا جديد قبل الانتخابات الإسرائيلية

لم يعد الحديث عن الجولة الثامنة من مفاوضات روما يقتصر على البحث في آليات تثبيت وقف إطلاق النار أو توسيع ما يُعرف بـ«المناطق النموذجية»، المشهد مختلف تماماً. إسرائيل لا تفاوض على الانسحاب، بل على شكل لبنان الأمني والسياسي بعد الحرب، فيما تبدو السلطة اللبنانية عاجزة عن فرض أي تعديل على قواعد اللعبة التي تُفرض عليها. وقد خرج وفد السلطة من الجولة السابعة من دون أي اختراق يُذكر. فالرفض الإسرائيلي لإدراج بنت جبيل والخيام وزوطر الشرقية ضمن المرحلة التالية من الخطة لم يكن مجرّد موقف تفاوضي، بل رسالة واضحة بأن تل ابيب تعتبر أن لبنان لم يلبّ بعد الشروط المطلوبة، وأن أي انسحاب إضافي لن يحصل قبل تنفيذ أجندة أمنية كاملة تتجاوز بكثير حدود القرار 1701. في المقابل، لا تخفي واشنطن تأييدها لهذا المسار، بل تبدو شريكاً كاملاً في رسمه. فالمعادلة المطروحة باتت واضحة: لا إعادة إعمار، ولا انسحاب، ولا استقرار طويل الأمد، قبل الانتقال إلى معالجة ملف سلاح حزب الله بصورة عملية، وليس عبر تعهّدات سياسية عامة.

وبحسب معلومات «الأخبار» فإن وفد السلطة السياسي عمد كما في كل مرة إلى تعطيل عمل الوفد العسكري في المفاوضات، وكاد أن يتورّط في الموافقة على طلب إسرائيل أن يجري توسيع المنطقة التجريبية لتشمل قرى فرون وقلاوية وبرج قلاوية والغندورية، وهي قرى غير مُحتلة أساساً، ويريد العدو أن يقوم الجيش بتفتيش منازلها والتضييق على حركة السكان، وعُلم أن رئيس وفد السلطة السفير سيمون كرم قال للمندوب الإسرائيلي إنه موافق على أن يقوم الجيش اللبناني بتفتيش 40% من منازل اللبنانيين في كامل منطقة جنوب نهر الليطاني، قبل أن تحصل مداخلات أكّد خلالها الوفد العسكري بأن الجيش لا يقوم بأي عمل في أراضٍ تقع تحت سلطته إلا وفق ما ينص عليه القانون، وأنه غير معنيّ بأي بحث في آليات عمله مع الجانب الإسرائيلي، وطلب في المقابل من الجانب الأميركي إقناع إسرائيل بالانسحاب من الأراضي المحتلة مع ضمانة الجيش بأن يتم إلغاء أي وجود عسكري أو أسلحة فيها. لكنّ الجانب الأميركي رفض

> **وفد السلطة كاد أن يوافق على منطقة تجريبية في قرى غير مُحتلة، غير أبه بدرس المرحلة السابقة، والوفد العسكري أصرّ على التزام القوانين اللبنانية**

المُقترح بعدما أعلنت إسرائيل أنها غير مُستعِدّة للبحث في أي منطقة تجريبية جديدة في المدى المنظور. وبحسب المصادر فإن كلاماً سياسياً قيل على هامش المفاوضات في بيروت وروما وواشنطن، وركّز على أن الإدارة الأميركية لا تجد نفسها «قادرة على الضغط على إسرائيل»، ما دفعها إلى إبلاغ سلطة الوصاية في لبنان بأنه من الأفضل التفاهم على منع أي تصعيد من خلال تمديد قرار وقف إطلاق النار وانتظار نتائج الانتخابات المقبلة في كيان الاحتلال.

على الأرض، تترجم قوات الاحتلال موقفها بالنار. فالاستهداف المباشر لجرافة الجيش اللبناني في المنصوري، خلال قيامها بفتح الطرق وإزالة الركام تمهيداً لانتشار الوحدات العسكرية، لا يمكن قراءته كحادث ميداني معزول، بل رسالة مزدوجة إلى الدولة اللبنانية التي يُطلب منها بسط سلطتها جنوباً، وإلى المجتمع الدولي الذي يروّج لفكرة أن الجيش قادر وحده على ملء الفراغ الأمني. والمفارقة أن المؤسسة العسكرية، التي يطالبها الأميركيون والإسرائيليون بتوسيع انتشارها، تجد نفسها هدفاً مباشراً للنيران الإسرائيلية، فيما لا يصدر عن الجهات الراعية للمفاوضات سوى دعوات فضفاضة إلى ضبط النفس. وهذا التناقض يكشف أن الضغوط المُمارسة على لبنان لا تهدف إلى تمكين الدولة بقدر ما تهدف إلى فرض وقائع سياسية وأمنية جديدة تحت وطأة القوة. ولم يتوقف التصعيد عند الجيش، بل امتدّ إلى البنى التحتية والخدمات العامة، مع استهداف فرق مؤسسة مياه لبنان الجنوبي وإحراق محطة ضخ المياه في وادي السلوقي، بالتزامن مع استمرار القصف والتفجيرات في زوطر الشرقية ووادي الحجير وكونين وزبقين وميس الجبل وحداثا وغيرها من البلدات الحدودية. وبذلك، يبدو أن إسرائيل تسعى إلى إبقاء الجنوب في حالة استنزاف دائم، بما يمنع عودة الحياة الطبيعية وبحول دون تثبيت أي وقائع ميدانية قد تعزّز الموقف اللبناني في المفاوضات.

(الأخبار)

(علي حشيشو)

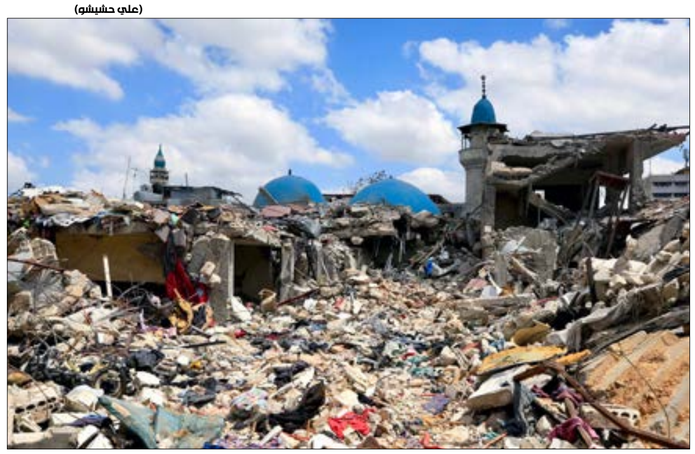

ووك ستريت جورنال: نزع سلاح حزب الله ليس سهلاً

في هذا السياق، كان لافتاً المقال الذي نشرته صحيفة «وول ستريت جورنال» الأميركية أمس من أن القوة العسكرية الإسرائيلية وحدها لن تنهي ملف سلاح حزب الله، وأن أي حل يتطلّب تسوية سياسية داخلية، وتعزيز دور الدولة والجيش اللبناني، إلى جانب تلاشي الحدّ من الدعم عبر الحدود السورية. وأشارت في تقرير أعدّه صحافيان في المنطقة إلى أن أي محاولة لنزع السلاح بالقوة قد تهدّد الاستقرار الداخلي، فيما يبقى تنفيذ القرار 1701 وبسط سلطة الدولة على كامل الأراضي اللبنانية محور النقاش في المفاوضات، وسط تمسّك حزب الله بسلاحه وربط أي بحث به بانسحاب إسرائيل ووقف اعتداءاتها.

وكشفت الصحيفة أنّ مسؤولين في لبنان وأميركا وإسرائيل، يبحثون في مجموعة من الخيارات بعدما تبيّن، وفق تقييمات نقلتها عن مصادر مطّلعة، أن لا حلول سهلة لملف سلاح الحزب، نظراً إلى تشابكه مع الواقع السياسي والاجتماعي والأمني اللبناني. وتصف الصحيفة هذه الأفكار بأنها أصبحت اليوم جزءاً من النقاش بين الأطراف المعنية، بعدما كانت في السابق تُعدّ شديدة الحساسية. ونقلت «وول ستريت جورنال» عن مسؤولين أن واشنطن وتل أبيب تدرسان كذلك سبل الحدّ من وصول الدعم إلى حزب الله عبر الحدود السورية، مستفيدتين من التحوّلات التي شهدتها سوريا وتغيّر السلطة فيها، على أن يترافق ذلك مع ضغوط سياسية واقتصادية وربط بعض ملفات الدعم وإعادة الإعمار بالتقدّم في مسألة حصرية السلاح بيد الدولة.

في المقابل، حذّر التقرير من أن أي محاولة لفرض نزع السلاح بالقوة داخل لبنان قد تكون لها تداعيات خطيرة على الاستقرار الداخلي. ورأى أن حزب الله لا يمثّل مجرّد بنية عسكرية يمكن التعامل معها بعملية أمنية منفصلة، بل يشكّل أيضاً قوة سياسية واجتماعية ذات حضور واسع داخل البيئة الشيعية ومؤسسات الدولة، ما يجعل أي معالجة للملف مرتبطة بالتوازنات اللبنانية الداخلية. وأشارت الصحيفة إلى أن المسؤولين الأميركيين والإسرائيليين واللبنانيين أنفسهم يُقِرّون بعدم وجود خيار سهل أو سريع لتنفيذ عملية نزع شاملة للسلاح.

(الأخبار)

تقرير

سمحت باستيراد الفيول من دون تدقيق

الحكومة تقرّ تقسيط زيادات الرواتب... خلافاً للقانون

تواصل حكومة نواف سلام إعادة توليف أي قضية مرتبطة بحقوق الموظفين أو تمسّ بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، على قياس مصالح السلطة، بمعزلٍ عن قدرات المواطنين المعيشية.

آخر إبداعات سلام وورزائه، كانت السير في جلسة لمجلس الوزراء أمس بمشروع تقسيم المفعول الرجعي لزيادة الرواتب للعاملين في القطاع العام والمتقاعدين، على 12 شهراً، خلافاً لرأي مجلس شورى الدولة الذي اعترض على هذه الآلية المُعدّة من قبل وزارة المالية، وطالب بإيقافها وحذفها من المرسوم وتسديد الزيادة دفعة واحدة. ورغم أن مجلس الشورى أكد عدم جواز تقسيط المستحقات لتجنب تخفيض قيمة الزيادة، بما يتعارض مع الهدف منها، تشبّثت الحكومة بقرارها، مخالفةً بذلك القانون، علماً أن مجلس الشورى لفت إلى أن آلية التقسيط التي أضافها المرسوم الحكومي، تطرح إشكالية قانونية حول جواز إضافتها، طالما أن نص القانون لم يذكرها.

على صعيد آخر، أدت ضغوط نقابية وتجارية إلى إنقاذ اللبنانيين مرحلياً، من رسوم تصل إلى 3% تريد أن تفرضها الحكومة تقريباً على معظم السلع المستوردة والمنتجات المحلية، إذ قرر المجلس تأجيل النقاش في مشروع مرسوم بيئي يفرض رسوماً تراوح بين 1% و3% على المنتجات والسلع التي تتحول كلياً أو جزئياً إلى نفايات بعد استعمالها، استناداً إلى مبدأ «الملوّث يدفع»، على أن يخضع المرسوم إلى مزيد من الدراسة قبل عرضه مرة ثالثة على مجلس الوزراء. فالمرسوم كان قد أقرّ قبل شهر، وبعد موجة اعتراضات واسعة عليه جرى تعليق العمل به. وروجت أوساط وزارية أنه سيخضع لتعديلات لا تؤدي إلى فرض هذا الكمّ من الرسوم، إلا أنها أعادت طرحه من دون تغييرات جوهرية، علماً أنه لا يضمن أن تذهب الأموال المحصلة من الرسوم إلى تحسين إدارة النفايات الصلبة وتغيير الوضع البيئي.

وفي قرار استثنائي جديد، وافق المجلس على طلب وزير الطاقة جو الصدي تفريغ حمولات فيول من الآن وحتى شهر تشرين الأول قبل التأكد من مطابقتها للمواصفات، مبرراً ذلك بأن الفيول المُحمّل يتوافق مع معايير معتمدة في عدد من الدول، وأن حال الضرورة التي تحكم تسيير المرفق العام، أي تفادي انقطاع التيار الكهربائي، تفرض تفريغ الحمولات قبل صدور نتائج الفحوصات النهائية في لبنان. غير أن ذلك يترتب عليه مخاطر مرتبطة بإمكانية أن يكون الفيول «مغشوشاً»، وبكلفة إعادة التفريغ في حال أرادت مؤسسة كهرباء لبنان التخلص منه، وبضمانات مالية يجب أن تضعها الدولة على الموردين، وسط تحذيرات بأن هذا الاستثناء لمدة ثلاثة أشهر، قد يفتح شهية الموردين على الغش.

وكما كان متوقعاً، لم يتّخذ المجلس قراراً بشأن التمديد لشركة «سوليدير»، إذ قرر البحث معها في مجموعة من النقاط هي أشبه بـ«تولیفة» لتبرير التمديد لها. هذه النقاط اختارتها اللجنة الوزارية التي شكلت للبحث في المشروع، وخرجت بتقرير غُرض على المجلس أمس، لا تحلم حتى الشركة العقارية بصياغته. وهو يتألف من أربع صفحات، الأولى والأخيرة مخصصتان للثناء على عمل «سوليدير»، والثانية والثالثة بمثابة براءة ذمة لتمرير التمديد.

كذلك، أقرّ المجلس سلسلة تعيينات، أبرزها إعادة تعيين جان العلية في رئاسة هيئة الشراء العام، مع تعيين الأعضاء التي بقيت مواقعهم شاغرة منذ إنشاء الهيئة. كما عُيّنت القاضية رولا عاكوم رئيسةً للهيئة الوطنية للمنافسة، والقاضية ستيفاني صليبا نائبةً لها، والدكتور محمد أبو حيدر مفوضاً للحكومة. وعُيّن سامي علوية رئيساً ومديراً عاماً للمصلحة الوطنية لنهر الليطاني، مع نائب له وأعضاء متفرغين.

وأيضاً، تم تعيين أعضاء مجلس إدارة الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، أعضاء في مجلس إدارة شركة مطار بيروت الدولي، ومجلس إدارة جديد للمجلس اللبناني للاعتماد.

(الأخبار)

> **الحكومة أجلت قرار التمديد لشركة «سوليدير» وأعادت تعيين جان العلية رئيساً لهيئة الشراء العام**

(هيثم الموسوي)

تقرير

توصية قضائية بتسليم دبور إلى رام الله: لمن تهدي السلطة اللبنانية هذه الورقة؟

يشير تطور ملف السفير الفلسطيني السابق لدى لبنان أشرف دبور إلى اقتراب القضية من مرحلة مفصلية، بعدما استكملت السلطات القضائية في لبنان مراجعة طلب الاسترداد المقدم من السلطة الفلسطينية، في خطوة تؤكد أن الخلفيات السياسية أكبر بكثير من ملفات الفساد، خصوصاً أن السلطة في لبنان تصر على ارتكاب مخالفة قانونية فاضحة.

وبحسب المعطيات المتداولة، أنجزت النائب العام التمييزي القاضي أحمد رامي الحاج مطالعته، وأحال تقريراً مفصلاً إلى وزير العدل عادل نصار، متضمناً توصية بالموافقة على تسليم دبور إلى السلطة الفلسطينية، حيث يواجه اتهامات تتعلق بقضايا مالية واستغلال المنصب خلال مدة توليه مهامه الدبلوماسية.

وتبعاً للإجراءات المعمول بها في لبنان، فإن تنفيذ قرار التسليم يتطلب إصدار مرسوم يوقعه وزير العدل ورئيس مجلس الوزراء نواف سلام ورئيس الجمهورية جوزيف عون، وسط توقعات بأن يُحسم هذا المسار خلال مدة قريبة إذا لم تطرأ معطيات جديدة. علماً أنه توجد مهلة للطعن بالمرسوم، وبعدها يتم التسليم بواسطة شرطة الإنتربول، علماً أنه في حال وجود دول مكتملة الأركان، فإن وفداً من شرطتها يحضر إلى البلد الآخر لاستلام الموقوف، وفي حال دبور فإن وفد الشرطة الفلسطينية الذي سيأتي إلى لبنان، لن ينقله مباشرة إلى رام الله بسبب عدم وجود حدود طبيعية مع لبنان، كما أن «دولة فلسطين» لا تملك مطاراً تهبط فيه مباشرة طائرة آتية من بلد آخر، ما يعني أن العملية سوف تتم عبر الأردن، وهذا يعني أن الأردن سوف يتولى تسلم الموقوف وهو أمر مخالف للقواعد أيضاً.

وقد صار واضحاً بأن ما تقوم به السلطة في لبنان ليس له علاقة بملف فساد متورط فيه دبور، والنقاش في هذه المسألة لا يتعلق بالتحقيق في التهم المنسوبة إليه، ذلك أن الجهات الحقوقية لم تطلب منحه البراءة أو حفظ الملف، بل إن قضية الفساد تفرض حصول تحقيقات تتجاوز دبور نفسه، كلمّ النقاش حول آلية العمل، حيث تنازلت سلطة الوصاية مرة جديدة عن سيادتها، وأهملت المادة 32 من قانون العقوبات، ووافقت على تسليم موقوف دون أي مسوغ قانوني، ولكنها فعلت ذلك استجابة لضغوط سياسية، وللدلالة على ذلك، تجدر الإشارة إلى أن منظمة الإنتربول نفسها لم توافق على إصدار نشرة حمراء بحق القيادي الفتحاوي محمد دحلان عندما اعتبرته سلطة رام الله مطلوباً للقضاء فيها.

ومن يدافع عن خطوة القضاء ومدعي عام التمييز، يحاول تبرير الخطوة بأن القضاء لم يكتفِ بدراسة الشروط الشكلية لطلب الاسترداد، بل حرص على التحقق من توافقه مع الالتزامات الدولية للبنان، ولا سيما ما يتعلق بحماية حقوق الإنسان. وزعم هؤلاء بأن السلطات اللبنانية حصلت على ضمانات رسمية من الجانب الفلسطيني تفيد بعدم تعرض دبور للتعذيب أو لأي معاملة مهينة أو انتقامية، وهو شرط أساسي يفرضه القانون اللبناني قبل الموافقة على تسليم أي شخص إلى جهة خارجية.

أما على المستوى التنفيذي، فمن المنتظر أن تُنسق عملية النقل بين الأجهزة الأمنية اللبنانية والسفارة الفلسطينية في بيروت، عبر ضابط ارتباط تعينه السفارة، على أن يُنقل دبور جواً من مطار رفيق الحريري الدولي إلى العاصمة الأردنية عمان، قبل استكمال انتقاله براً إلى الأراضي الفلسطينية لتسليمه إلى الجهات المتخصصة في رام الله. أما الغريب هو في ادعاء الجانب القضائي في لبنان أن دخوله إلى مناطق السلطة الفلسطينية لن يستوجب موافقة إسرائيلية، نظراً لحمله وثائق هوية وجواز سفر فلسطينيين، وهو أمر لا يحصل حتى مع أكبر مسؤولي السلطة الفلسطينية.

سياسياً، يسلط هذا الملف الضوء على تداخل الاعتبارات القضائية مع الحسابات السياسية في العلاقة بين لبنان والسلطة الفلسطينية، ومن ثم سلوك السلطة غير المفهوم في الانصياع الكلي للمطالب الخارجية. علماً أن أحداً في الدولة لم يفهم بعد قرار السلطة تسليم دبور، وعلمت «الأخبار» أن رئيس مجلس النواب نبيه بري ورئيس الحزب الاشتراكي السابق وليد جنبلاط دخلا على خط متابعة هذا الملف وهما يعملان على الوصول إلى حل مقبول ومحاولة فهم ملابسات القضية، بينما تقول مصادر متابعة إن هناك تدخلات لإقناع نواف سلام بالتراجع عن هذا القرار. وكانت عائلة دبور قد أصدرت بيانات وجهت فيه مناشدة للدولة اللبنانية، خصوصاً بعد تدهور حال دبور الصحية، كما حمّلت المسؤولية للدولة في حال اتخاذ أي إجراء بحقه. وفيما قالت أوساط فلسطينية أن هناك حال صدمة من جراء ما يحصل، تظاهر أمس عدد من الفلسطينيين في مخيم الرشيدية اعتراضاً على اعتقال دبور.

(الأخبار)

تقرير

السفارة السورية على خطى السعودية: لواء سوري متقاعد... دخل ولم يخرج!

يبدو أن السفارة السورية في بيروت مُعجبة بأداء القنصلية السعودية في إسطنبول. فما حصل أمس مع اللواء السوري المتقاعد، عادل محمد عيسى (مواليد 1959)، يشبه إلى حد بعيد ما جرى مع الصحافي السعودي جمال خاشقجي الذي دخل إلى قنصلية بلاده في إسطنبول، من دون أن يتمكّن من مغادرتها أبداً.

في التفاصيل، علمت «الأخبار» أن سائقاً سورياً أقلّ عيسى إلى مقر سفارة سوريا في بيروت عند الساعة 12:30 ظهراً، بهدف تنظيم وكالة قانونية لأحد أفراد أسرته الموجودين في سوريا. إلا أنه فوجئ بعد ساعة بتوقف سيارة فيها عدد من الشبان بالقرب منه، وبطلبهم منه تسليمهم هاتف عيسى، بذريعة ضرورة تسجيل جواز سفره على المنصة.

وبقي السائق ينتظر عيسى حتى الساعة الرابعة والنصف، قبل أن يتوجّه إلى مقر السفارة للسؤال عن عيسى. فمنعه عنصر أمن لبناني من الاقتراب، بعد إبلاغه أن السفارة أقفلت أبوابها. وبعد إلحاحه، قام العنصر بالتوجه إلى شباك السفارة، ليخرج موظف ويطلب من السائق إبراز هويته ويسأله عن صلة القرابة التي تربطه باللواء. ولما تأكد ألّا صلة بينهما، وأنه سائق أجرة، أجابه بأن عيسى غادر مقر السفارة قبل عشرين دقيقة.

وهو ما أثار استغراب السائق الذي أبلغ بأن السفارة أقفلت أبوابها قبل أكثر من ساعة، عدا أنّه اعتاد توصيل عيسى وانتظاره لإعادته إلى منزله.

عندها، أعلم السائق عائلة عيسى بالحادثة. فبدأت الاتصالات لمعرفة مكان وجوده، من دون أن تفلح في ذلك، خصوصاً أن هاتف عيسى أغلق بعد الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر، فيما لم يتم العثور عليه في منزله. وهو ما دفع أسرته إلى التواصل مع بعض الجمعيات اللبنانية للمساعدة في كشف مصيره، بعد أن تكثفت الشكوك بأن يكون موقوفاً بصورة غير قانونية في السفارة، باعتباره ضابطاً علوياً، وسط خشية من نقله إلى سوريا وتعرّضه للتعذيب، علماً أن سنّه تتعدى 67 عاماً.

يُذكر أن عيسى كان قد تقاعد قبل أكثر من ست سنوات. وبقي يعيش في طرطوس ويتنقل في سوريا من دون ملاحقة، حتى أنه أدلى بإفادته أمام محكمة سورية قبل أشهر بخصوص خلاف مالي مع أحد الأشخاص، من دون أن يتم توقيفه أو ملاحقته. كان هذا هو الحال قبل أن تقوم عناصر مسلحة قبل نحو شهر بمداهمة منزله والسؤال عنه. غير أنه لم يستطع التأكد مما إذا كانت هذه العناصر نظاميّة أم أنها تنتمي إلى تنظيم مسلح. فغادر عيسى الأراضي السورية إلى لبنان، حيث استقرّ بإقامة شرعية.

(الأخبار)

تحقيق

إبادة بيئية في الجنوب: العدو يسرق الزيتون!

(علي حشيشو)

لم يكتفِ الاحتلال الإسرائيلي بتدمير منازل زوطر الشرقية وأراضيها، بل امتدّت آلياته إلى اقتلاع نحو 600 شجرة زيتون مُعمّرة. في اعتداء يستهدف ذاكرة الأرض ومصادر رزقه أهلها، ويطرح أسئلة حول التدمير البيئي المنهجي

فراس خليفة

«هذا الخريف، وللمرة الأولى منذ 250 عاماً، لن تجني عائلتي الزيتون في لبنان». بهذه الكلمات اختصر ابن بلدة زوطر الشرقية أحمد شمس الدين مأساة لم تعد تقتصر على تدمير المنازل أو تجريف الأراضي، بل امتدّت إلى اقتلاع الذاكرة نفسها من جذورها. ويضيف: «لقد اقتلعت القوات الإسرائيلية أشجارنا من الأرض وأخذتها. وعلى مدى قرنين ونصف قرن، اشترت عائلتي الأراضي ولم تبع منها متراً واحداً. نحن لا نبني على الأرض، بل نغرس فيها». ويؤكد أن اقتلاع شجرة زيتون يتجاوز عمرها 500 عام «يتطلّب جرّافات وخبرة وشاحنات، وعملية مقصودة، وليس مجرّد أضرار ناجمة عن الحرب»، مشدّداً على أن المنطقة التي اقتُلعت منها الأشجار «لم يكن فيها أسلحة أو مقاتلون أو أي وجود عسكري».

وتفتح هذه الشهادة الباب أمام واحدة من أخطر الجرائم التي شهدتها البلدة، في محاولة لاقتلاع إرث عمره مئات السنين ومحو أحد أبرز رموز الهوية الزراعية في الجنوب، إذ لم يكتفِ الاحتلال الإسرائيلي بتدمير عدد كبير من المنازل والوحدات السكنية والبنى التحتية في زوطر الشرقية، بل صعّد اعتداءاته باقتلاع نحو 600 شجرة زيتون، في خطوة تحمل في الوقت نفسه سمات إبادة بيئية مُمنهجة. فاقتلاع أشجار الزيتون يأتي استكمالاً لسياسة تهدف عملياً إلى تحويل المناطق المحتلة إلى «أرض ميتة». وتكتسب هذه الجريمة خطورة خاصة في بلدة تضم أكثر من 15 ألف شجرة زيتون مُعمّرة يعود عمر بعضها إلى مئات السنين، وتشكّل مصدر رزق أساسياً لعدد كبير من أهالي الزوطريين، فضلاً عن كونها جزءاً من هوية المنطقة وإرثها التاريخي.

ويعيد متابعون من أهالي زوطر الشرقية بداية هذه الجريمة إلى التوغّل البري الإسرائيلي في البلدة قبل نحو ثلاثة أشهر، حين عمدت آليات الاحتلال إلى تجريف الطرقات والأراضي الزراعية وتخريب الممتلكات العامة والخاصة، قبل أن تبدأ عمليات متفرّقة لاقتلاع أشجار الزيتون وسرقتها، ولا سيما بعد وقف إطلاق النار. إلا أن الصور الجوية المُلتقطة بعد 20 تموز الماضي كشفت عن أكبر عملية من نوعها، تمثّلت باقتلاع نحو 600 شجرة زيتون من وسط البلدة.

ويؤكد العارفون بالمنطقة أن اقتلاع الأشجار لم يكن نتيجة أعمال قتالية، بل عملية مُنظّمة نُفّذت بواسطة آليات ثقيلة اقتلعت الأشجار من جذورها، وهي جريمة تضاف إلى قيام الاحتلال سابقاً بإحراق عدد من أشجار الزيتون في مزرعة الحمرا التابعة للبلدة. ورغم عدم امتلاك الأهالي دليلاً قاطعاً على نقل الأشجار إلى داخل الأراضي المحتلة، فإن تحليل الصور الجوية يُظهر اختفاءها تماماً من مواقعها، ومن الأراضي المجاورة أيضاً، ما يعزّز فرضية نقلها خارج لبنان، ولا سيما في ظل «سوابق» مماثلة وثّقتها كاميرات مستوطنين إسرائيليين خلال العامين الماضيين في قرى حدودية جنوبية.

زيتونات عائلة شعيتاني

لم تقتلع الجرافات الإسرائيلية أشجار الزيتون من أرض زوطر الشرقية فحسب، بل اقتلعت معها جزءاً من ذاكرة عائلات ارتبط تاريخها بهذه الأرض على مدى قرون. فالكروم المُستهدفة تعود إلى عائلات شعيتاني وشمس الدين وزين الدين ويونس وعنيسي وحرب وغيرها. بالنسبة إلى عدنان شعيتاني، الذي يقع حقله ضمن المساحة المُجرّفة، كانت صدمة اختفاء نحو مئة شجرة زيتون أكبر من وقع تدمير منزله. يقول: «كرم الزيتون عمره ثمانية أجيال على الأقل. هو ذكريات جدّي وأبي، وكان جنّتي ومصدر رزقي». ويرى أن اقتلاع الأشجار وسرقتها يندرجان ضمن «خطة للضغط على أهالي الجنوب عبر حرمانهم من أحد أهم مصادر عيشهم وأسباب بقائهم».

أمّا ابنه إبراهيم، الذي ورث الأرض عن والده، فيؤكّد أن «الزيتون بالنسبة إلينا ليس مجرّد محصول زراعي، بل هو رمز للهوية والصمود والانتماء». ويضيف: «ورثت عن والدي عدنان وحرب وغيرها. بالنسبة إلى عدنان ورثها عن جدّي حسين، الذي ورثها بدوره عن جدّي الأكبر إبراهيم». ويعتبر أن «اقتلاع كروم الزيتون وسرقتها لا يعنيان إلا قتلنا مرتين: مرة بالة الحرب، ومرة بمحاولة محو تاريخنا. لكن لن يقتلوا عزيمتنا. سنعود إلى أرض الأجداد، وسنعيد غرس الزيتون وسقايته ورعايته».

سنّعيد زرعها

لم تكن خسارة صلاح شمس الدين مجرّد فقدان نحو 120 شجرة زيتون من أرضه الواقعة ضمن المساحة التي جرفها الاحتلال، بل كانت خسارة جزء من ذاكرته العائلية. فالحقل الممتدّ خلف منزل والده، المربّي الراحل عبد الكريم شمس الدين، «تحوّل إلى ملعب رملي بعدما جرفوا كل شيء»، معتبراً أن هذا النوع من الاعتداء «لا يستهدف الأشجار فقط، بل يحاول ضرب الذاكرة وكل ما يرمز إلى الانتماء والتشبّث بالجذور». يستعيد شمس الدين علاقة عائلته بالزيتون قائلاً: «كبرنا نحنا والزيتونات سوا. كل واحد فينا صار عنده عيلة، لكنّ الزيتونات كانت تجمعنا كل موسم. واللي ما بيعرف شو يعني لمّة العيلة بموسم الزيتون، ما بيعرف شو يعني بركة الأرض وقيمة الزرع». ويشير إلى تزامن اقتلاع الأشجار مع ذكرى رحيل والدته التي «غرست الزيتون بيديها، وسقته من تعبها وحبها وحنانها». ويختم مؤكداً أن ما جرى لن يكون نهاية الحكاية: «لأجلها، ولأجل لمّة العائلة من جديد، راجعين نزرع الزيتون».

الجذور والهويّة

لطالما شكّلت كروم الزيتون في زوطر مصدر رزق أساسياً لعدد كبير من العائلات، وكانت تغطّي نحو خمس مساحة البلدة، بما يزيد على 500 دونم. ويشير عماد جابر، أحد مزارعي البلدة، إلى أن زيتون زوطر ينتمي إلى «الصنف البلدي المعروف بحبّته المميزة، وهو جزء لا يتجزّأ من منظومة الحياة في البلدة».

في زوطر، كما في القرى الجنوبية المجاورة، يسود عُرف راسخ مفاده أن «لا أحد يقتلع شجرة زيتون من أرضه مهما كانت الأسباب». يقول عباس ياغي، أحد أبناء البلدة الذي اقتلع الاحتلال عدداً من أشجاره قرب منزله. ويرى رئيس المجلس البلدي محمد إسماعيل أن الاحتلال يستهدف من خلال اقتلاع الأشجار «قطع صلة الوصل مع التاريخ والأجداد ومع الحياة نفسها». ويشير إلى أن شجرة الزيتون تختزن «التراث والتاريخ وذكريات الأجيال». ورغم إدراكه أن اقتلاع الزيتون سيزيد الأعباء على أبناء البلدة بعد عودتهم، يؤكد إسماعيل «أننا سنعيد الحياة إلى زوطر، وبدل الشجرة سنزرع عشراً».

استهداف مقوّمات البقاء

لا يمكن فصل ما جرى في زوطر الشرقية عن المشهد الأوسع للتدمير البيئي الذي يتعرض له جنوب لبنان. ووفق الناشط البيئي هشام يونس، قد تبدو كل حادثة بمعزل عن غيرها مجرد اعتداء منفرد، من اقتلاع أشجار أو إحراق أحراج أو تجريف أراضٍ زراعية أو تدمير موائل طبيعية، «لكن جمع هذه الوقائع مكانياً وزمنياً، مع استمرار استهداف أعداد كبيرة من الأشجار، ولا سيما المعمّرة منها، كل ذلك يجعل الضرر تراكمياً: نفقد الغطاء النباتي والموائل والوظائف المرتبطة بها على نطاق أوسع، ويتزايد الضغط على التنوّع البيولوجي وعلى قدرة النظام الزراعي والبيئي على الصمود والتجدّد». ويرى يونس أن خطورة هذا النمط من الاعتداء «لا تكمن في استهداف المكان بمظهره المادي فقط، بل في ضرب قدرته على إنتاج الحياة واستمرارها». ويصف ذلك بأنه «تسليح للبيئة والزراعة»، أي تحويل تدمير عناصرهما ووظائفهما إلى أداة من أدوات الحرب والضغط على المجتمعات المحلية. ويوضح أن إقدام العدو على اقتلاع أشجار الزيتون المُعمّرة «لا يعني خسارة محصول أو مورد زراعي فحسب، بل تفكيك منظومة متكاملة من الوظائف البيئية والإنتاجية والاجتماعية التي تراكمت حول الأرض عبر عقود وأجيال. وتكرار هذا النمط على نطاق واسع يستنزف قدرة السكان على الإنتاج والتعافي، ويرفع كلفة العودة وإعادة بناء سبل العيش، بما يهدّد استمرارية علاقة الناس بأرضهم ويدفعهم إلى البحث عن بدائل، وهو ما يعني عملياً ضرب مقوّمات بقاء المجتمعات المحلية».

(علي حشيشو)

الأولويّة لتوثيق قانوني بنّي مُتكامِل

لا يعلّق أهالي زوطر الشرقية وأصحاب الأراضي التي تعرّضت لاقتلاع أشجار الزيتون آمالاً كبيرة على أي مسار قانوني قد يُفتح لمتابعة هذا الملف، نظراً إلى التعقيدات التي تحيط به ومحدودية التأثير في ظل خضوع بعض المنظمات الدولية لتوازنات الدول الداعمة وسياساتها المنحازة للاحتلال. ومع ذلك، يرى معنيون بالمسارات القانونية أن الأولوية في المرحلة الحالية يجب أن تكون لبناء ملف توثيقي متكامل، قانونياً وبيئياً، يشمل تحديد مواقع الأضرار وإحداثياتها، وتوثيق الأشجار والأراضي قبل الاعتداء وبعده، بالاستناد إلى صور الأقمار الاصطناعية والصور والفيديوات الميدانية، إضافة إلى شهادات أصحاب الأراضي، وإثبات الملكيات، وتقدير أعمار الأشجار وقيمتها الإنتاجية، ورصد نمط التدمير في مختلف القرى الجنوبية. فالقيمة القانونية لما جرى في زوطر الشرقية لا تقتصر على إثبات اقتلاع مئات الأشجار، بل تكمن في القدرة على ربط هذه الحادثة بسلسلة اعتداءات مماثلة، لإثبات ما إذا كان الأمر يتعلق بحوادث منفصلة أم بنمط منهجي يستهدف البيئة والأراضي الزراعية ومقوّمات بقاء المجتمعات المحلية. ويشدّد هؤلاء على أن المطلوب من السلطات اللبنانية تجاوز الاكتفاء بإدانة الاعتداءات سياسياً وإعلامياً، والعمل على إنشاء ملف وطني مهني للتدمير البيئي والزراعي، يتم تحديثه بصورة مستمرة، ويستند إلى أدلة علمية وقانونية موثّقة وفق المعايير المُعتمدة، بما يتيح استخدامه مستقبلاً أمام أي جهة قضائية أو تحقيق دولي.

تقرير

هل بدأت ورشة إعادة إعمار القرى الجنوبية؟

فؤاد بزي

في الجنوب ورشة إعادة إعمار مُصغّرة. على استحياء تتم إعادة تعبيد عدد من الطرقات، وإعادة توصيل شبكة الكهرباء الرسمية، بالإضافة إلى وصل أنابيب المياه للقرى الأمامية. وهذه الورشة تعمل بتمويل صغير من مجلس الجنوب والبلديات، فضلاً عن قرض البنك الدولي «LEAP» المُخصّص لإعادة تأهيل البنية التحتية المتضررة من العدوان الإسرائيلي، وتهدف إلى تسهيل إعادة الناس إلى بيوتهم. ولخدمة هذا الهدف، يركّز القائمون على الورشة على إعادة تأهيل الأمور الأساسية مثل الطرقات وشبكات المياه والكهرباء والمدارس، ويتركون الأمور التي يمكن تصنيفها بالكمالية من وجهة نظر الوضع في الجنوب، مثل إنارة الطرقات، وتأهيل الأرصفة في الشوارع.

«نعيد إصلاح الحاجات الأساسية القادرة على إعادة السكان، مثل شبكات المياه»، يقول رئيس مجلس الجنوب هاشم حيدر الذي يصف أعمال التأهيل التي تجري اليوم بأنها «توازن بين حاجة الناس والخطر». بالنسبة إلى حيدر المياه والمدارس والطرقات هي حاجات أساسية لتسهيل عودة الناس إلى قراهم، لذا يشير إلى قرار اتخذه المجلس بـ«إصلاح كلّ المدارس في المناطق غير المحتلة، وقبل الدخول في العام الدراسي المقبل». ولكن وبسبب عدم وجود تمويل حكومي حقيقي لهذه الأعمال، يؤكّد أنّ المجلس يصرف من موازنة عام 2026، والتي استُخدم جزء منها أصلاً أثناء العدوان لتمويل خدمة النازحين في المناطق، مثل شراء المازوت المُخصّص لتشغيل المولّدات لسحب المياه من الآبار والتدفئة.

أمّا أعمال تعبيد الطرقات، فهي غير مرتبطة بإزالة الأضرار التي تسببت بها الحرب، يؤكد حيدر، بل هي مشاريع مُقرّة سابقاً لوزارة الأشغال العامة والنقل في موازنة عام 2025، وتُنفّذ اليوم في أماكن لم تتعرّض لأضرار نتيجة العدوان الإسرائيلي.

هذه الأعمال أدّت دوراً مهماً في إعادة السكان إلى القرى المُدمّرة، من النبطية وصولاً إلى آخر القرى قبل الشريط المحتل. في مجدل سلم مثلاً، يؤكّد رئيس البلدية يونس زهوة تسجيل عودة 853 عائلة بشكل رسمي، والرقم دون أن تسجّل عودتها في البلدية، فضلاً عن وجود 58 عائلة مستقرّة في مجدل سلم هي تسكن في الأساس في القرى المحتلة اليوم. وفي النبطية، يتكلم رئيس البلدية عباس عزّ الدين عن عودة نسبة 50% من السكان إلى المدينة، وهو ما يُلاحظ من عودة الازدحام إلى السوق والطرقات الأساسية فيها.

من جهة معالجة أضرار الحرب، يعيد زهوة التأكيد بأنّ «المياه أهم من الكهرباء لخدمة العائدين»، لذا قامت البلدية، وعلى حسابها الخاص بإعادة تمديد جزء من الشبكة لتعبئة الخزانات الرئيسية فيها. ولكن المشكلة في مجدل سلم تكمن في اتكال القرية في تأمين حاجاتها من المياه على بئرين، تؤمّن الأولى ثلثي الحاجات وهي واقعة تحت الاحتلال، فيما تؤمّن الثانية ثلث الحاجات وهي بتصرف البلدية، وهو ما دفع البلدية إلى الطلب من مؤسسة مياه لبنان الجنوبي إعادة وصل القرية بـ«خط وادي جيلو».

أمّا الكهرباء في القرية، فمقطوعة، يقول زهوة، معيداً السبب إلى تقطّع الكابلات بسبب العدوان الإسرائيلي، سواء الخاصة بالمولّدات أو الخاصة بالشبكة العامة، على الرغم من أنّ المولّدات الخمسة المملوكة للبلدية نجت من العدوان. وفي هذا السياق، يشير إلى أنّ مؤسسة كهرباء لبنان قامت بالكشف على الأضرار فقط، إنّما من دون إعادة تأهيل أيّ شيء حتى الآن سوى وصل خطوط التوتّر العالي، ولكن من دون إيصال الكهرباء إلى البيوت.

في النبطية، المشهد مختلف، حيث لا تتحمّل المدينة التي يعود إليها سكانها انقطاعاً دائماً في الخدمات الأساسية مثل الكهرباء والمياه. لذا، تمكّنت البلدية من تأمين نحو 14 ألف متر من الكابلات لإعادة وصل الكهرباء إلى المحالّ والمنازل، بحسب عز الدين، بتكلفة وصلت إلى 135 ألف دولار سُجّلت كديون على المجلس البلدي بسبب عدم وجود تمويل. حتى الطرقات، فتحتها البلدية على حسابها الخاص، ولم تسمح ببقائها مُقفلة أيام الحرب، إذ لم توقف آلياتها العمل، وهو ما كبّدها خسائر على مستوى الأرواح، إذ استشهد 6 عمال من عمالها أثناء قيامهم بأعمالهم.

حتى اللحظة، رفعت بلدية النبطية نسبة 30% من ركام الحرب، بالتعاون مع مجلس الجنوب، بقول عز الدين، إلا أنّ إصلاح الطرقات لم يبدأ حتى الآن، إذ «لا قدرة للبلدية على صيانتها وحدها، وهي تحتاج إلى قرار حكومي». والأمر نفسه ينكرر مع إصلاح شبكتي المياه والكهرباء في المدينة، فالبلدية تكبّدت خسائر كبيرة، إذ دمّر العدوان مولّدين بقدرة 500 KVA، وعدداً من الآليات، فضلاً عن مركز البلدية الأساسي الذي قُصف في حرب 2024.

79
ألفاً
هو عدد الوحدات السكنية المُدمّرة كلياً أو جزئياً أو التي تحتاج إلى ترميم في منطقة عمل مجلس الجنوب في عدواني ٢٠٢٤ و٢٠٢٦، ويشمل هذا العدد الوحدات السكنية في المنطقة المحتلة.

750
ألف دولار
هي قيمة الديون المستحقّة على بلدية النبطية، وهي قيود ورثها المجلس البلدي الحالي عن السابق، بسبب الانهيار النقدي والمصرفي وتأثيراته على واردات البلدية باللّيرة التي تضاءلت حتى لم يبق لها من مورد سوى المولّدات الكهربائية، والتي لم تدفع فواتيرها في أشهر الحرب، على الرغم من عدم توقف البلدية عن تشغيلها طوال مدّة العدوان.

المياه والمدارس والطرقات هي حاجات أساسية لتسهيل عودة الناس (مروان بو حيدر)

تقرير

البحر يضيق بصيّادي صور: إسرائيل تحاصر حركتهم ورزقهم

نور محمود

لم تنتهِ الحرب بالنسبة إلى صيادي مدينة صور مع توقف الاعتداءات المباشرة التي كانت تستهدف المدينة طيلة فترة الحرب. فما زال البحر الذي شكّل لعقود مصدر رزقهم الوحيد، مُحاصراً بالقيود الأمنية والاعتداءات الإسرائيلية التي تطاول البلدات والقرى المحيطة دون انقطاع، فيما تتفاقم الأعباء الاقتصادية والبيئية لتضع القطاع البحري أمام واحدة من أصعب مراحله. يضمّ مرفأ صور نحو 400 صيادٍ، يعملون على 175 زورقاً مُسجّلاً لدى نقابة صيادي الأسماك في صور. إلا أنّ هذه الأرقام لم تعد تعكس حجم النشاط الفعلي للقطاع، بعدما تقلّصت مساحة الصيد وتراجعت المردودات بشكل غير مسبوق.

في هذا السياق، يشرح نقيب صيادي الأسماك في صور سامي رزق، في حديث لـ«الأخبار»، أنّ «نحو 75% من الصيادين بقوا في المدينة طوال فترة الحرب، لكن عملهم كان يخضع لنظام صارم فرضه العدو الإسرائيلي، تمثّل بمنع الصيد ليلاً، وحظر الإبحار جنوب مدينة صور بشكل كامل، والسماح بالصيد شمال المدينة فقط وفي ساعات محدّدة من النهار». ويوضح أنّ هذه التعليمات كانت تُبلَّغ عبر الدفاع المدني إلى مخابرات الجيش اللبناني والتي بدورها كانت تنقلها إلى الصيادين.

وعلى الرغم من دخول وقف إطلاق النار «المزعوم» حيّز التنفيذ، لا تزال القيود المفروضة على مساحة الإبحار قائمة حتى الآن إلى حدّ كبير. فبحسب رزق، مُنع الصيادون من الوصول إلى المناطق التي اعتادوا الصيد فيها وصولاً إلى الناقورة، واقتصر عملهم على رقعة بحرية صغيرة جداً نسبة إلى عدد الصيادين شمال صور، وهي منطقة ذات قاع رملي لا تتناسب مع طرق الصيد المُعتمدة في المنطقة، إذ يحتاج معظم الصيادين إلى القيعان الصخرية المتواجدة في القسم الجنوبي المحظور عنهم والتي كانت تشكّل مصدراً رئيسياً للثروة السمكية. وهنا يؤكد أنّ «أي زورق يقترب من منطقة المنصوري يصبح عرضة لإطلاق النار من قوات الاحتلال الإسرائيلي»، ما يضع الصيادين أمام تهديد دائم ويجبرهم على حصر تحرّكاتهم في نطاق بحري أضيق، لتتقلّص بذلك مساحة الصيد ومصدر رزقهم أكثر فأكثر.

ولا يقتصر الخناق على الصيادين بالقيود الأمنية وتقلّص المساحة المُتاحة أمامهم في البحر، إذ إنّ الحرب أصابت مصدر رزقهم في أساسه. فبحسب الصيادين والمعنيين بالقطاع، شهدت الثروة السمكية تراجعاً حاداً وملموساً، بفعل التلوّث البحري والانفجارات المتكررة والارتجاجات العنيفة التي تعرّض لها البحر خلال العدوان، ما دفع أنواعاً من الأسماك إلى الابتعاد عن المنطقة. والنتيجة أن الصياد بات مُحاصراً من جهتين.

ولا تختصر هذه العوامل وحدها أزمة الصيادين. فقد ضاعف الارتفاع الكبير في كلفة التشغيل، وفي مقدّمها المحروقات، من صعوبة الاستمرار في المهنة. هنا يشرح رزق أنّ «الزورق الواحد يحتاج إلى مازوت بقيمة تقارب مليونين وأربعمئة ألف ليرة في كل رحلة بحرية»، وهي كلفة بات كثير من الصيادين عاجزين عن تحمّلها في ظل التراجع الحادّ في المردود اليومي. ومع غياب أي ضمان بأن تغطّي حصيلة الصيد حتى نفقات الرحلة، بات عدد منهم يفضّل عدم الإبحار أساساً تجنّباً لخسارة إضافية.

أمّا الخسائر المادية، فلم تقتصر على تراجع المداخيل، بل أصابت أدوات العمل نفسها. فالزوارق بقيت راسية في المرفأ لأكثر من خمسة أشهر من دون حركة، ما أدّى إلى تراكم الأصداف على هياكلها وتعطّل أجزاء منها، فيما أصاب التلف عدداً آخر منها بفعل الرطوبة. ومع العودة التدريجية إلى البحر، وجد كثير من الصيادين أنفسهم أمام كلفة إضافية لإصلاح زوارقهم وصيانتها.

ورغم حجم الأضرار، يؤكد المعنيون غياب أي خطة دعم فعلية للقطاع، سواء من البلدية أو الجهات الرسمية المختصة أو الجمعيات. وهنا يلفت رزق إلى أنّ وزيرة الشؤون الاجتماعية حنين السيد كانت قد وعدت بتقديم مساعدات مالية للصيادين المتضررين والصامدين، إلا أنّ هذه المساعدات، بحسب قوله، لم تشمل سوى عدد محدود منهم، فيما بقي نحو 70% خارج الاستفادة، وهو ما أثار استياء واسعاً بين العاملين في القطاع.

> الصيادون يعملون تحت تهديد دائم وضمن مساحة محدّدة من قبل العدو الإسرائيلي

وعلى الأرض، تختصر شهادات الصيادين حجم هذا الاختناق. ويضيف الصياد أحمد أبو العينين إلى العوامل السابقة تراجع الحركة السياحية بعد الحرب واستمرار عدم الاستقرار الأمني، ما انعكس بدوره على الرحلات البحرية التي كانت تشكّل مصدر دخل إضافياً لعدد كبير من الصيادين. أمّا الصياد رياض حنفي، الذي يعتمد منذ أكثر من ثلاثين عاماً على الصيد الليلي بالصنارة، فيقول لـ«الأخبار» إن منعه من العمل ليلاً حرمه فعلياً من مصدر رزقه الأساسي، إذ «لا أحد يلتفت إلى أوضاعنا أو يساعدنا. أنا ابن صور، ولا أستطيع أن أترك مدينتي أو مهنتي».

بدوره، يروي الصياد وصاحب مطعم «بواب» للأسماك إبراهيم بواب أنّ الصيد مهنة توارثتها عائلته منذ أجيال، إلا أنّ الواقع الحالي حصر عملهم في مساحة بحرية ضيقة، فيما قد يعني تجاوزها التعرّض لإطلاق النار. ويشير إلى أنّ غالبية رحلاتهم باتت تتجه نحو العاقبية، فيما تراجع نشاط مطعمه بنحو 75% بفعل الركود وتراجع الحركة، رغم تمسكه بالبقاء في المدينة والاستمرار في المهنة.

> العدو يعطّل نظام تحديد المواقع GPS للصيادين

يضاف إلى معاناة الصيادين المادية والأمنية عائق تقني بات يلاحقهم في عرض البحر، وهو التعطّل المتكرر لنظام تحديد المواقع (GPS)، الذي يشكّل أداة أساسية لتحديد مواقع الصيد والعودة إليها ورمي الشباك في الأماكن المُعتادة. ويوضح نقيب الصيادين سامي رزق أنّ «النظام بقي معطّلاً طوال فترة الحرب، ولا يزال يتعرّض لانقطاعات متكررة بفعل التشويش الإلكتروني المرتبط بتحليق طائرات الاستطلاع والمُسيّرات الإسرائيلية في الأجواء اللبنانية». وهذا التشويش لا يعقّد عمل الصيادين فحسب، بل يحرمهم عملياً من إحدى أهم الأدوات التي يعتمدون عليها في البحر.

لا تزال القيود المفروضة على مساحة الإبحار قائمة حتى الآن (مروان بو حيدر)

كلمات متقاطعة 5149

أفقيا

1- ممثل ومؤلف ومخرج مسرحي لبناني – 2- شخصية في الرسوم المتحركة – عاصمة أذربيجان – 3- سطل – من الفاكهة – 4- خليج بين قطر والسعودية – إلهة الصيد عند الرومان – 5- ينشف أو يبيس – مسكن الرهبان – حرف نصب – 6- ثياب معدّة للغسل – من أفعال الرجاء بالجمع – 7- نوتة موسيقية – حرف جر – مفرّ – 8- أحرف متشابهة – لقب ملوك إيران – للنداء – 9- شدّة وشجاعة – 10- وضع خلسة – دولة أميركية

عمودياً

1- بئر عميقة – خط دفاع أقامته المانيا على حدودها الغربية قبل الحرب العالمية الثانية – 2- فنان لبناني – 3- إله – مخلص – من لا أخمص لقدميه – 4- طريق كبير – حرف جزم – إسم موصول – 5- جماعة الأفراس – لص مختلس – 6- طيب القلب – يحمله كل إنسان – 7- والد – يصوّره – 8- معركة أدت الى خسارة هنيبعل امام جحافل الرومانيين – للتاوه – حفر البئر – 9- عاصمة غينيا – 10- السيدة الأولى السابقة في جمهورية مصر العربية

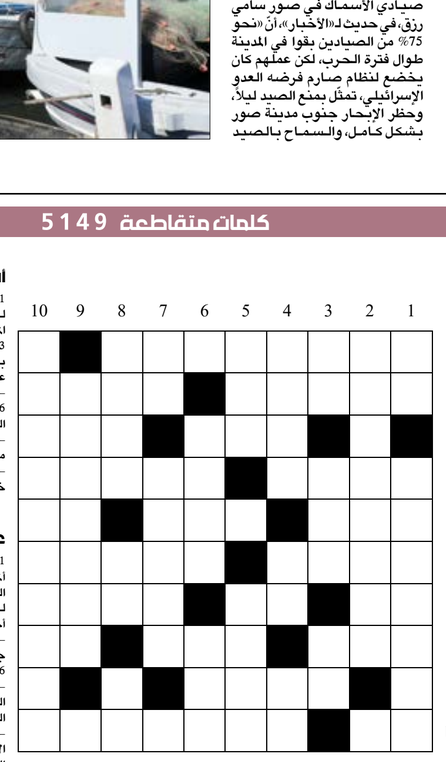

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- فريد شوقي – 2- ابقراط – وفا – 3- راما – وبَ – تل – 4- سن – مها – حليّ – 5- مناطيد – 6- رجَت – سوني – 7- ماكلين – دكا – 8- وهن – مس – دن – 9- طهّر – هر – 10- بينيلوكس

عمودياً

1- فارس كرم – طم – 2- ربّان – جاوه – 3- يقم – متكهرب – 4- درامن – لن – 5- شا – هالي – ن ن – 6- وطواط – نمّ – 7- يس – سهل – 8- يو – حدود – رو – 9- فتل – نكدّ – 10- فاليريانوس

sudoku 5149

2					8	9		
	8			4			3	
		4	2					8
	7		4		5		1	
4		8		1		7		2
	1		9		2		5	
8					4	3		
	4			2			8	
		5	8					9

حلول الشبكة السابقة

7	2	6	8	3	1	4	5	9
8	3	9	4	7	5	2	6	1
5	4	1	2	9	6	8	3	7
1	9	2	3	5	4	6	7	8
3	8	7	6	1	2	9	4	5
6	5	4	7	8	9	1	2	3
4	1	3	5	6	8	7	9	2
9	6	5	1	2	7	3	8	4
2	7	8	9	4	3	5	1	6

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

كلمة السر 446

كلمة السر من 6 حروف: بلدة لبنانية في قضاء زحلة

الكرمة – بوارج – تل اخضر – جديتا – جلالا – جل – حوش الغنم – رعيت – زحلة – شفق – صك – عين كفرزبد – عبلة – عنجر – قرى – كرك – كفر – معلقة – نبي ايلا – ناصرية

ق	ة	ش	ر	ض	خ	ا	ل	ت	ق
م	ل	ف	ن	ا	ص	ر	ي	ة	ر
ن	ح	ق	و	ج	د	ي	ت	ا	ى
غ	ز	ة	ب	م	ك	ف	ر	ر	ا
ل	س	ا	م	و	ع	ص	ك	ع	ل
ا	ع	ل	ك	ر	ا	ل	ا	ي	ي
ش	ن	ا	ر	ل	ك	ر	ق	ت	ا
و	ج	ل	ك	ج	ي	ل	ج	ة	ي
ح	ر	ج	ة	ل	ب	ع	ا	ا	ب
ع	ي	ن	ك	ف	ر	ز	ب	د	ن

حلول الشبكة السابقة: بيرفدار

عملية حسابية 446

شروط اللعبة: ضع الارقام المناسبة من 1 الى 99 في المربعات الفارغة للوصول الى حل العملية الحسابية

	–		٪		=	15
+	■	X	■	X	■	
	X	6	٪		=	12
٪	■	٪	■	X	■	
	X		X	6	=	54
=	■	=	■	=		
25		22		48		

حلول الشبكة السابقة

19	+	81	٪	4	=	25
X	■	٪	■	X	■	
4	X	9	٪	6	=	6
–	■	X	■	X	■	
3	X	7	X	4	=	84
=	■	=	■	=		
73		63		96		

شبكة العنكبوت 446

إعداد نعوم مسعود

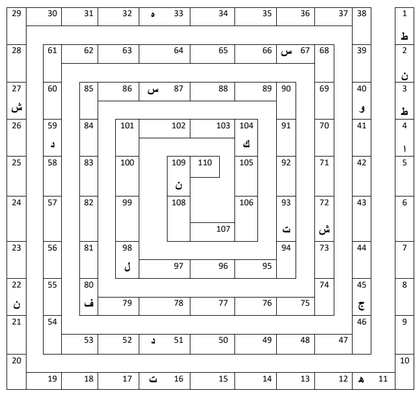

1 – 4 مدينة مصرية
3 – 13 قائد ثورة الفلاحين في كسروان
13 – 20 لاعب كرة قدم عراقي سابق كان يلقب بـ« المايسترو »
19 – 22 من الفاكهة
21 – 33 رئيس اتحاد كرة سلة لبناني راحل
33 – 40 امبراطور باباني راحل
39 – 43 من الازهار
43 – 49 بلدة لبنانية في قضاء المتن
48 – 55 ممثلة لبنانية مخضرمة
53 – 61 مدينة سودانية
59 – 67 راقصة شرقية لبنانية راحلة
66 – 73 احد متصرفي جبل لبنان
72 – 82 فنان فرنسي راحل من جذور ارمنية
87 – 80 خزانة سبائك الذهب الاميركية
86 – 89 مدينة سودانية
88 – 95 شاعر فرنسي زار لبنان في غابة الارز شجرة باسمه
95 – 104 احد شعراء الامير اللبناني بشير الشهابي
104 – 110 اعلى قمة جبلية في مصر

حل شبكة العنكبوت السابقة

بروفا – فالبري جيسكار ديستان – تاتارو – رودبسيا – سبائل – تلة علي الطاهر – هرم بن سنان – انتشال – الياس الهراوي – ويومنغ – نغم في حياتي – تيرانا – نادر شاه – هاملت – توفيق يوسف عواد – ادوارد – دهوك – كوريا

شروط اللعبة

شبكة العنكبوت تتألف من 110 خانات مرقمّة وداخل بعض الخانات تتواجد أحرف تساهم في تسهيل الحل بعد الإجابة على الأسئلة الموجودة أسفل الشبكة. الشبكة تعمل مثل عقارب الساعة إبتداءً من الرقم 1 الى الرقم 110

مشاهير 5149

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

كاتبة وناقدة لبنانية عاشت في دمشق (1913-1991). من مؤلفاتها « مرايا الناس »

9+6+10+11+7 = عاصمتها نيروبي ■ 8+5+3+2 = رکود الأعمال ■ 1+4 = حُب

حل الشبكة الماضية: **ماركوس غارفي**

على الغلاف

«اتفاقية مكة» الدفاعية السعودية تهيّئ نفسها لخليج ما بعد الحرب

حسين إبراهيم

لا تني السعودية تحاول تعزيز أمنها بمزيد من الاتفاقيات الدفاعية مع دول ذات ثقل عسكري، كما هي حال الاتفاقية التي وقّعها، أمس، زعماء المملكة وتركيا وباكستان في مكة، وسُمّيت «اتفاقية مكة للدفاع المشترك». ومع أن التوقيع يحمل رسائل في اتّجاهات مختلفة إلى مَن يعنيهم الأمر، إلّا أن الاتفاقية لن تكون ذات تأثير كبير في إخراج السعودية من الوضع غير المريح الذي تقيم فيه حالياً، بين حرب أميركية - إيرانية كبيرة، تمثّل المملكة للمفارقة، بسبب العلاقات الأمنية التي تجمعها بواشنطن، إحدى ساحاتها، وحرب أخرى أصغر، إنما لا تقلّ تأثيراً، مع صنعاء التي تسعى إلى رفع حصار سعودي هو نفسه نتاج تلك العلاقات. ربّما كانت هذه الحرب الأخيرة هي التي سرّعت التوقيع على الاتفاقية التي قال أطرافها إنهم يتفاوضون عليها منذ عام. صحيحٌ أنه لا يمكن باكستان وتركيا تقديم مساهمات كبيرة في مجال حماية المملكة، سواء من الاستهدافات اليمنية لسفنها، أو الضربات الإيرانية على المصالح الأميركية على أراضيها، إلا أنه لا يجب التقليل من أهمية ما جرى. فهو يستكمل، بصورة أو بأخرى، رحلة سعودية لتنويع الحمايات، خصوصاً بعدما ثبتت، مرّة جديدة، مقولة حسني مبارك الشهيرة: «المتغطّي بالأميركان عريان». وفي الأصل، فإن الاتفاقات مع الولايات المتحدة هي التي جعلت المملكة هدفاً لضربات إيرانية، والآن يمنية، بدل أن تحميها، وأن ما تخطّط له إسرائيل في سبيل فرض هيمنتها على المنطقة، يستهدف الدول الثلاث، مثلما يستهدف حالياً إيران.

> الاتفاقية ركّزت في متنها على طابعها الدفاعي وعدم استهدافها أيّ طرف

ومع أن الاتفاقية الثلاثية تأتي بعد فترة قصيرة جدّاً على إطلاق اليمن معادلة «الحصار بالحصار» ضدّ السعودية، في محاولة لفكّ الربط بين الأخيرة والولايات المتحدة، ومن ثَمّ التمهيد لكسر الحصار، بما يتيح التفاوض على عودة العلاقات مع المملكة إلى طبيعتها، إلّا أن الهوية الإسلامية للدول الموقّعة، ورمزية التوقيع في مكة، لا تشيان بأن المستهدَف بها إيران أو حتى اليمن. فتركيا وباكستان لديهما مقاربة مختلفة للحرب الأميركية على إيران، تجعل من غير الوارد أن تنخرطا فيها، ولو دفاعاً عن السعودية، التي لا تبدو هي نفسها معنيّة بأيّ حرب مع طهران. أمّا في المسألة اليمنية، فسبق لإسلام أباد أن رفضت بجيشها وبرلمانها المشاركة في حرب اليمن عام 2015، فيما ما يواجهه هذا البلد اليوم من حصار، هو نتيجة مباشرة لتلك الحرب، بل إنه متواصل من دون انقطاع منذ بداياتها. كذلك، لم تُظهر تركيا، ولا مرّة، اهتماماً بالتورّط في مستنقع كالمستنقع اليمني.

من هنا، يمكن القول إن الاتفاقية الجديدة يمكن أن تساعد المملكة في الخروج من حرب اليمن، وذلك من خلال تشكيل ثقل سياسي يوازن الضغط الأميركي، ومن خلفه الإسرائيلي، الهادف إلى إبقاء الجبهة اليمنية مُعلّقة، وتمهيد الطريق أمام السعودية لإنهاء الحصار وتنفيذ «خارطة الطريق» التي أعدّتها الأمم المتحدة ووقّعت عليها الرياض وصنعاء. فباكستان وتركيا حليفان إقليميان كبيران للولايات المتحدة، والأخيرة بحاجة ماسّة إلى الأولى حالياً في الوساطة مع إيران، في حين أن الثانية تلعب دوراً مساعداً في عدد من أزمات المنطقة، ومنها سوريا ولبنان والعراق، فضلاً عن دورها المهمّ في إطار حلف «الناتو»، الذي يقدّره الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، بوصفه أكبر حتى من أدوار دول أوروبية وغربية رئيسة.

وبالفعل، فإن الاتفاقية ركّزت في متنها على طابعها الدفاعي وعدم استهدافها أيّ طرف، وكذلك على انفتاحها على ضمّ دول إقليمية أخرى. وإذ قيل كلام كثير خلال الأشهر الماضية، عن اتفاقية دفاع مشترك رباعية تضمّ إلى الدول الثلاث، قطر، وعُدّ هذا الكلام موجّهاً إلى إيران، فقد فُهمت خطوة كهذه في سياق إعادة رسم المشهد الإقليمي بعد الحرب، والذي يُتوقّع أن تتغيّر فيه الأوزان لمصلحة طهران. والظاهر هنا، أن السعودية بالذات، إلى درجة أكبر من حالتَي الدولتَين الأخريَين الموقّعتَين على «اتفاقية مكة»، معنيّة بأن لا تنتهي الحرب وهي في موقع أضعف. والنتيجة تلك، إنما تنذر بها موازين القوى الحالية التي تستعدّ الولايات المتحدة للتسليم بها، وفق ما توحي به ردود الفعل على الاتفاق الإيراني - العماني على مسار عبور السفن مضيق هرمز، والذي ستعتبره السعودية حكماً إضعافاً لدورها.

لكن يبقى من أبرز رسائل الاتفاقية الجديدة، بغضّ النظر عن فاعليتها على أرض الواقع، هي أننا دخلنا زمناً جديداً في منطقة الخليج، بعد الحرب فيه، يختلف تماماً عمّا قبلها، وذلك في انتظار تبلور اتفاق ما بين إيران والولايات المتحدة يحدّد درجة هذا الاختلاف. بطبيعة الحال، فإن أميركا ستفاوض براسة لتحسين شروط أيّ اتفاق جديد مع إيران، فليس من العبث أن يتلاعب ترامب إعلامياً، حين يكرّر عشر مرّات في اليوم أنه هزم إيران وسحقها وأباد جيشها وبحريتها، حتى وهو يطلب أن توافق على وقف إطلاق النار. أمّا إسرائيل، فلن تسلّم أبداً بأيّ ترتيب قد ينشأ من الحرب، وستواصل محاولات تخريب أيّ اتفاق قد تعقده واشنطن مع طهران، نظراً إلى أن خسارتها في هذه الحال، ستتحوّل من غير مُحقّقة إلى مُحقّقة.

في بعض الكلام الذي قيل عن الاتفاقات الإقليمية، طُرح، ربّما على شكل تكهّنات، أن ينشأ تحالف إقليمي يضمّ الدول التي وقّعت «اتفاقية مكة»، إلى جانب مصر وقطر وإيران وغيرها. ومع أن هذا الكلام لا يبدو واقعياً الآن، إلا أن أيّ ترتيب للأمن الإقليمي يضمن أمن دول المنطقة، يحتاج إلى تعاون بين هذه الدول وغيرها.

زعماء السعودية وتركيا وباكستان يحملون نسخاً من «اتفاقية مكة للدفاع المشترك» (من الويب)

ثاني عملية داخلية خلال ساعات

المشّاط لابن سلمان: لن ينفعك أحد

صنعاء - رشيد الحداد

وسّعت قوات صنعاء، أمس، عملياتها العسكرية التي تستبق بها احتمال لجوء الرياض إلى تحريك جبهات الداخل ضدّها، مستهدفةً بعدد كبير من الصواريخ والمسيّرات -في ثاني عملية من هذا النوع- حشوداً سعودية في معسكر صحن الجن في محافظة مأرب، وذلك غداة الضربات التي نفّذتها، أول من أمس، ضدّ قاعدتَي الرويك والعبر ومعسكرات الثنية الواقعة بين محافظتَي مأرب وحضرموت. وبالتوازي، وجّه رئيس «المجلس السياسي الأعلى» في صنعاء، مهدي المشّاط، تحذيراً إلى السعودية والدول التي يمكن أن تشاركها في حربها على اليمن.

وأعلن الناطق باسم قوات صنعاء، العميد يحيى سريع، في بيان، أنه «تمّ ضرب حشود سعودية، بما معها من المخازن والآليات والمعدات العسكرية، في معسكر صحن الجن في محافظة مأرب»، مضيفاً أن «الضربات النوعية على التحشيدات السعودية، كانت دقيقة ونُفّذت بعد كبير من الصواريخ والمسيّرات»، مشيراً إلى أن «العدو السعودي يواصل تحشيد قواته وتحريضها ودفعها إلى أتون حرب عدوانية باطلة وخاسرة، إصراراً على مواصلة حصار شعبنا وتصعيداً في العدوان على بلدنا».

وأفادت مصادر في صنعاء، بدورها، «الأخبار»، بأن الهجوم أدى إلى انفجارات داخل قيادة «التحالف» في منطقة صحن الجن -التي تعدّ قاعدة عسكرية تستخدمها الرياض ووزارة دفاع عدن-، مستهدفاً خصوصاً أهمّ غرف العمليات السعودية التي أنشأتها المملكة مؤخراً، والتي يديرها العميد السعودي فارس الشمري، والعقيد عبد الباري الشهراني، منذ منتصف العام الجاري. ومن جهتها، قالت سلطات المحافظة التابعة لحزب «الإصلاح» إن هجمات صنعاء، التي ذكرت أنه استُخدم فيها نحو 20 صاروخاً، طاولت مساكن خاصة بالنازحين خارج منطقة الاستهداف. ولكن خلافاً لتلك الرواية، أظهرت مقاطع فيديو نشرها ناشطون في مأرب، هروباً كبيراً للعناصر من داخل «المنطقة العسكرية الثالثة» ومعسكر صحن الجن.

وإلى جانب هذا الهجوم، أكدت مصادر محلية في مدينة المخا غربي اليمن، سماع دويّ انفجارات عنيفة هزّت ضواحي المدينة، وذلك خلال استهداف قوات صنعاء عدداً من المعسكرات فيها. وعلى مدى الـ48 ساعة الماضية اتّسع نطاق عمليات تلك القوات إلى عمق وادي حضرموت أيضاً، ليطاول مركز إمداد عسكرياً في ضواحي مدينة سيئون. وأكدت مصادر محلية في وادي حضرموت وقوع انفجارات داخل «المنطقة العسكرية الأولى» التي تضمّ قيادة «التحالف»، ما أدى إلى انفجار عدد من مخازن السلاح فيها. وفي حين اعترفت السلطات المحلية في حضرموت بالهجوم، فهي قالت إنه «استهدف مطار سيئون واستخدمت فيه طائرات مسيّرة»؛ علماً أن القوات الجوية السعودية تستخدم المطار في نقل إمدادات عسكرية جواً. وكان نشطاء موالون لـ«التحالف» وحكومة عدن اتهموا، على مواقع التواصل الاجتماعي، وزارة دفاع عدن و«قيادة دعم الشرعية»، بالفشل الذريع في الترتيب للتصعيد ضدّ قوات صنعاء، مشيرين إلى وجود ما سمّوها «خيانات كبيرة» من الداخل، تسبّبت بمقتل عشرات الجنود التابعين لـ«قوات الطوارئ»، أول من أمس.

في هذا الوقت، وجّه المشّاط سلسلة تحذيرات مباشرة إلى الدول التي يمكن أن تشارك السعودية في حربها على اليمن، مؤكداً أن «صنعاء قد تقدم على تصنيف تلك الدول في قائمة الدول المعادية، بجانب السعودية التي تحارب وتحاصر اليمن منذ قرابة 12 عاماً». وقال المشاط، في أعقاب الإعلان عن اتفاقية مكة الدفاعية» التي ضمّت تركيا وباكستان والسعودية، في تصريحات نقلتها وكالة الأنباء الرسمية (سبأ) - نسخة صنعاء، إن «كلّ من يشارك المعتدي السعودي في عدوانه وحصاره المتواصل على بلدنا فهو معتدٍ، حتى وإن غلّف تلك المشاركة بعناوين برّاقة»، محذّراً من أن «القانون اليمني واضح في تحديد طريقة التعامل مع الدول المصنّفة في خانة العداء».

> الهجوم اليمني استهدف معسكر صحن الجن الذي تستخدمه السعودية ووزارة دفاع عدن

وفي رسالة مباشرة بدت موجّهة إلى ولي العهد السعودي، محمد بن سلمان، قال المشاط: «حتى وإن حشدتَ كل العالم إلى جانبك، فلن ينفعك»، مضيفاً: «اعلم أن كلفة السلام العادل والمشرّف وحسن الجوار أقلّ بكثير من كلفة الحرب».

العراق

وعود حكومية بـ«معالجة دبلوماسية» المقاومة ترجئ ردّها على السعودية

بغداد - فقار فاضل

عاشت بغداد، ليل الخميس - الجمعة، واحدة من أكثر ساعاتها الأمنية والسياسية حساسية، بعدما تمّ رفع مستوى الجاهزية والاستعداد القتالي، وإلغاء إجازات عدد من القادة والآمرين، وتسجيل تحرّكات للقطعات العسكرية، وعقد اجتماعات أمنية موسّعة امتدّت من الحدود إلى المحافظات. وجاءت هذه الإجراءات بالتزامن مع انتهاء المهلة التي منحتها فصائل المقاومة قبل الردّ على العدوان السعودي - الأميركي، الذي استهدف مؤخراً مقارّ لـ«الحشد الشعبي» وأوقع 52 شهيداً وجريحاً. لكن الساعات المضطربة انتهت، وفق مصادر سياسية وحكومية، إلى هدنة غير معلنة، أبقت الردّ العسكري للفصائل مؤجّلاً، وسمحت للحكومة بفتح نافذة دبلوماسية لمعالجة الأزمة.

وبالفعل، أصدرت «المقاومة الإسلامية في العراق»، ليل أمس، بياناً قالت فيه إنه «تلبية لنداء الحاج المجاهد (أبو حسن العامري)، وتجاوباً مع المواقف المشرّفة من بعض القادة السياسيين الشرفاء، تقرّر تأجيل الردّ»، مضيفةً «إننا إذ نؤكد أن دماء الشهداء الزكية ما كانت ولن تكون سلعة في سوق الموازنات السياسية، فإننا ندعو مَن أعماهم الكرسي عن صون الدماء والسيادة المنتهكة إلى مراجعة أنفسهم والرجوع إلى رشدهم». وتابع البيان: «ليعلم العدو الأميركي وحلفاؤه في المنطقة أن دماء شهدائنا وجرحانا هي وقود صمودنا، وأن السيادة لن تُستردّ بالبيانات الخجولة، بل بقبضات الأوفياء الذين لا يساومون على حرمة الأرض ولا على كرامة الشهداء».

وبحسب ما تسرّب من كواليس المشاورات التي سبقت إعلان التهدئة، فإن بغداد كانت تتحسّب لسيناريوَين متوازيَين: الأول، تنفيذ فصائل مسلّحة تهديداتها بالردّ على السعودية، بما يفتح الباب أمام جولة جديدة من الضربات داخل العراق؛ والثاني، انتقال الحكومة نفسها إلى إجراءات أمنية في حقّ جماعات أو أفراد يشتبه بضلوعهم في هجمات خارج الحدود. وقبل الوصول إلى أيّ من هذين السيناريوَين، وفي ذروة الاستنفار، عُقد اجتماع، فجر أمس، بين الزيدي وزعيم منظمة «بدر» هادي العامري، بحث، وفق المصادر، مخاطر التصعيد وإمكانات احتوائه.

ووفق المعطيات المتداولة، انتهى الاجتماع إلى تفاهم يقوم على تأجيل الإجراءات الحكومية الميدانية، في مقابل تجميد الردّ العسكري على السعودية، ومنح بغداد فرصة للتحرّك عبر القنوات السياسية والدبلوماسية. وجاء ظهور العامري لاحقاً في تسجيل مصوّر دعا فيه فصائل «المقاومة الإسلامية» إلى تأجيل الردّ وتغليب «مصلحة العراق العليا»، ليعزّز الانطباع بأن التهدئة أتت نتيجة لتفاهم سياسي - أمني أوسع.

وفي هذا الإطار، يقول قيادي في أحد الفصائل، لـ«الأخبار»، إن الخلاف مع السعودية «ليس جديداً»، مذكّراً بـ«الدعم السعودي سابقاً للجماعات المسلّحة، وإرسال مفخّخات وأحزمة ناسفة إلى العراق». ويؤكد القيادي أن الضربة الأخيرة «لن تمرّ مرور الكرام»، مضيفاً أن الردّ «قد يؤجَّل بفعل الضغوط لكنه لا يُلغى». ويشير إلى أن «الفصائل ترى أن سلاحها مرتبط بالمقاومة، وأن التطورات الإقليمية الأخيرة تعزّز تمسكها به»، متابعاً أن «الحكومة تتحدّث باسم الدولة في علاقاتها الخارجية، لكن ما فعلته السعودية يجب أن يُردّ عليه بقوة وليس بالدبلوماسية».

وكان شدّد اجتماع «ائتلاف إدارة الدولة»، الأربعاء، بحضور الرئاسات والقيادات السياسية، على حصر السلاح في يد الدولة ومنع استخدام الأراضي العراقية منطلقاً لهجمات على دول الجوار. كما حدّد 30 أيلول موعداً لاستكمال خطوات هذا المسار، مع التلويح بمعاملة أيّ نشاط مسلّح خارج إطار الدولة بعد ذلك التاريخ، وفق قانون «مكافحة الإرهاب».

وفي هذا السياق، يرى الخبير الأمني، سيف رعد، في حديث إلى «الأخبار»، أن «الحكومة تريد التأكيد أن الدولة تملك قرار حماية الحدود ومنع أيّ تهديد ينطلق من الأراضي العراقية، وفي الوقت نفسه إيصال رسالة واضحة إلى الفصائل بأنها مطالَبة بعدم اتّخاذ أيّ خطوة عسكرية تتجاوز سلطة الدولة». ومن جهته، يذهب الباحث في الشأن السياسي، محمد هاشم، إلى أن التحرّكات الأمنية تمثّل أيضاً «إيعازاً» إلى الفصائل بأن مرحلة جديدة تقترب، خصوصاً مع اقتراب موعد انسحاب قوات «التحالف الدولي». لكنه يستبعد، في الوقت الراهن، الذهاب إلى صدام مباشر، معتبراً أن «الحوار والتسوية الداخلية والخارجية يبقيان الطريق الأقلّ كلفة في ظلّ أزمات أمنية وسياسية وإقليمية متشابكة».

أمّا الباحث السياسي، علي الحبيب، فيرى أن اجتماع «ائتلاف إدارة الدولة» منح الحكومة غطاءً سياسياً واضحاً للمضيّ في حصر السلاح في يد الدولة، لكنه يعتقد أن التنفيذ لن يكون سهلاً، محتملاً أن تستمرّ الاتصالات غير المعلَنة مع عدد من الفصائل للوصول إلى ترتيبات تدريجية -بما فيها إعادة تنظيم العلاقة مع المؤسسات الرسمية-، تستهدف تجنّب الانزلاق إلى مواجهة داخلية.

في المقابل، لا تبدو الفصائل الرافضة لتسليم سلاحها مستعدة للتراجع بسهولة. إذ جدّدت «كتائب حزب الله» وحركة «النجباء» و«كتائب سيد الشهداء»، تمسّكها بقدراتها العسكرية، وربطت أيّ نقاش بشأن السلاح بانسحاب القوات الأجنبية وضمان حماية العراق من الاعتداءات الخارجية.

توقعات أميركية بفتح «هرمز» قريباً

مسقط ترسل مسودة الاتفاق إلى واشنطن

تتقدّم احتمالات إقرار التفاهم المؤقّت بشأن مضيق «هرمز» بين طهران ومسقط، إلى صدارة المواجهة الأميركية - الإيرانية، وذلك في ظلّ حديث واشنطن عن إمكان «إنجاز اتفاق خلال وقت قريب يفتح الممرّ البحري لمدة محدودة»، والذي يقابله تمسّك طهران بشروطها لإدارة المضيق. وقال وزير الخزانة الأميركي، سكوت بيسنت، أمس، إن اتفاقاً قد يُنجز «اليوم أو غداً»، ويؤدي إلى فتح «هرمز» لمدّة تتراوح بين 30 و60 يوماً، متوقعاً أن يؤدي هذا التطوّر إلى «خفض أسعار الطاقة».

وتنسجم تصريحات بيسنت مع نتائج المفاوضات الجارية في هذا الشأن؛ إذ تمنح الصيغة المقترحة إيران دوراً في التحكّم بحركة السفن الداخلة إلى الخليج، فيما تمرّ السفن الخارجة عبر مسار خاضع لسلطنة عُمان. وبحسب مصادر «الأخبار»، فقد أرسلت مسقط، أول من أمس، المسودة التي توصّلت إليها مع طهران، إلى واشنطن، وتنتظر ردّ الأخيرة عليها. وتشير المصادر نفسها إلى أن «المسؤولين الأميركيين، كانوا على اطلاع متواصل، عبر المسؤولين العمانيين، على مجريات المفاوضات».

وبذلك، تكون مفاوضات إيران مع عمان، هي في العمق، مفاوضات غير مباشرة بين الأولى وبين الولايات المتحدة. إلا أنه بسبب تأخر الردّ الأميركي على المسودة، ترتفع احتمالات أن تكون لدى واشنطن ملاحظات قد تعرقل إتمام الاتفاق ودخوله حيّز التنفيذ، وهو ما يعيد احتمال تجدّد التصعيد إلى الواجهة. وتأتي هذه التطورات فيما لا تزال المخاطر الملاحية عند مستوى مرتفع؛ إذ أعلنت شركة «أدنوك» الإماراتية تعرّض ثلاث من سفنها لهجمات في المضيق خلال الأسبوع الأخير، فيما أفادت شركة «ويندوارد» المتخصصة في الاستخبارات البحرية بأن بيئة المخاطر التشغيلية في مضيق «هرمز» والبحر الأحمر وخليج عدن وشمال الخليج، لا تزال عند «مستوى حرج».

وبينما تحاول الإدارة الأميركية تقديم المسار التفاوضي باعتباره نتيجة للضغط على طهران، كرّر بيسنت القول إن الولايات المتحدة «تخنق إيران اقتصادياً»، مدّعياً أن «التضخم فيها بلغ ما بين 150 و180%، والسلطات لا تستطيع دفع رواتب جيشها». ورأى أن المضيق «لن يعود إلى ما كان عليه»، بعدما استخدمه الإيرانيون، أو حاولوا استخدامه، «كنقطة اختناق». وبالتوازي، وفي حين أعلنت الخارجية الأميركية اتخاذ «إجراءات حاسمة لقطع مصادر تمويل النظام في إيران»، جدّد وزير الحرب الأميركي، بيت هيغسيث، القول إن «ترامب انتصر في الحرب مع إيران»، وإن «النفوذ الأميركي يشهد تزايداً»، مضيفاً أن «المؤرّخين سيكتبون أن ترامب كان القوة الأبرز في إعادة تشكيل الشرق الأوسط». وكان ترامب قال، بدوره، إن الحرب ضدّ إيران «ستنتهي قريباً جداً»، معتبراً أن «طهران لن تتمكّن من مواصلة القتال لمدة طويلة». وتعكس هذه اللهجة محاولة واشنطن تثبيت «رواية النصر» في الحرب، وذلك رغم انحصار التفاوض في الآن في وضع المضيق -الذي صار عقدة الحرب الرئيسة-، بعدما كان هدف الأميركيين إسقاط نظام طهران وتجريده من برنامجَيه، النووي والصاروخي.

> تستمرّ حال القلق والتوتر داخل الإدارة الأميركية بشأن استنزاف مخزون الذخائر الأميركية

وفي مقابل الرهان الأميركي على تفاهم في خصوص «هرمز»، أكد عضو «مجمع تشخيص مصلحة النظام» في إيران، محسن رضائي، أن إيران «لن تسمح أبداً بفتح ممرّ ثانٍ في المضيق»، محذراً من أن استمرار الحصار سيعرّض السفن والقوات الأميركية لـ«مخاطر وخسائر جسيمة». ودعا رضائي الولايات المتحدة إلى تغيير سلوكها، قائلاً إن طهران «لن تتحمّل استمرار هذا الوضع». كذلك، حذّر نائب وزير الخارجية الإيراني، كاظم غريب آبادي، من أن يستنتج الخصوم وجود «أيّ شعور بالضعف» لدى إيران من مواقفها، معتبراً أن «المرونة غير المبرَّرة تجعل الطرف الآخر أكثر جرأة وتجرؤاً». وكان رئيس البرلمان الإيراني، محمد باقر قاليباف، قد وصف استخدام «الترهيب والأخبار الكاذبة» من قِبل ترامب، بأنه «استراتيجية فاشلة»، داعياً الأخير إلى «الاعتراف بالحقائق والوفاء بالتزاماته بدلاً من الاستعراض».

وفي الغضون، تستمرّ حال القلق والتوتر داخل الإدارة الأميركية بشأن استنزاف مخزون الذخائر الأميركية، وتأثير هذا النقص على خيارات واشنطن العسكرية. وبرز في تقرير جديد لـ«وول ستريت جورنال»، نقْل الصحيفة عن مسؤولين أن «ترامب طلب إجراء تحقيقات في التسريبات المتعلّقة باستنزاف مخزون الذخيرة الأميركية بسبب الحرب مع إيران»، وذلك بعدما رأى أن نشر تقارير عن مستويات المخزون «قد يمنح طهران جرأة أكبر». وفي المقابل، قدّم كبير محللي الشؤون الخارجية في صحيفة «تلغراف»، رولاند أوليفانت، قراءة معاكسة للرواية الأميركية، معتبراً أن إبرام اتفاق إيراني - عُماني لإعادة فتح المضيق يعني أن الحرب التي شنّها ترامب ورئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، بهدف إسقاط الجمهورية الإسلامية أو إضعافها، انتهت بـ«توسّع ملموس للنفوذ الإقليمي الإيراني». ليخلص إلى القول إن «إيران انتصرت» في هذه الحرب.

(الأخبار)

أميركا

أموال «آيباك» لا توتي ثمارها
انتصار جديد في رصيد «التقدّميين»

خضر خروبي

في انتظار المقارعة الانتخابية المُنتظَرة بين «الديمقراطيين» و«الجمهوريين» في تشرين الثاني المقبل، يحتدم سباق انتخابي موازٍ، تتوالى حلقاته تحت سقف القبّة الحزبية لكلّ من الطرفين، بخاصة «الحزب الديمقراطي». وإذا كانت الانتخابات التمهيدية لـ«الجمهوري» تكاد تدور حول شخص الرئيس دونالد ترامب وسياساته، مع كلّ ما تثيره من انقسامات داخل أروقة «الحزب الأحمر» الحاكم بأمره في البيت الأبيض و«الكونغرس» بمجلسَيه، فإن تمهيديات «الديمقراطيين» تُخاض تحت عناوين عديدة، منها هو مُعتاد من مسائل اجتماعية واقتصادية مزمنة، كالرعاية الصحية والاقتصاد، ومنها ما هو سياسي، كالموقف من إسرائيل، والمطالبات بإنهاء المساعدات العسكرية غير المشروطة لها. والمسألة الأخيرة هذه، بدأت تكتسب صفة العامل الأساسي الطارئ على المشهد الداخلي الأميركي في السنوات الأخيرة، ليس ربطاً بأصداء الإبادة الدولية لحرب الإبادة الجماعية في غزة فقط، بل وأيضاً على خلفية الجدل الذي أثارته الحرب على إيران في الشارع الأميركي حول مدى ارتباطها بجوهر مصالح الولايات المتحدة. وهكذا، لم تعُد تمهيديات «الديمقراطيين» تقتصر على معركة «برنامجية» داخلية بين تيّارات حزبية متصارعة، مع كلّ ما قد تتركه هذه المعارك من انعكاسات على الصورة السياسية المستقبلية للحزب، بل تحوّلت إلى عملية فرز بين داعمي إسرائيل من جهة، وخصومها من جهة أخرى، وعلى رأسهم رموز «الجناح التقدّمي»، وداعموه.

من نيويورك إلى ميشيغان: خيبات مستمرّة لـ«آيباك»

منذ انطلاق الجولات الانتخابية التمهيدية لـ«الحزب الديمقراطي» مطلع العام، في ولايات كينسلفانيا وإلينوي وتكساس ونيوجرسي وكنتاكي ونيويورك، حقّق «التيّار التقدّمي» في «الحزب الديمقراطي» انتصارات ملحوظة، في مقابل إخفاقه في استحقاقات انتخابية تمهيدية في ولايات كمبيوسوري، حيث خسرت المرشّحة كوري بوش، المعروفة بمناهضتها لإسرائيل، لصالح المرشح ويسلي بيل، المدعوم من منظّمة «آيباك». ومثّلت تلك الانتصارات والإخفاقات، على السواء، مناسبة متكرّرة لإبراز حجم حضور العامل الإسرائيلي في الانتخابات، سواء كعنوان نزّال سياسي، أو كأداة لاستدرار الدعم الانتخابي. ومع انتقال المعركة إلى ولاية ميشيغان، كانت المفاجأة بفوز مرشح «التقدّميين»، الطبيب الأميركي المتحدّر من أصول عربية عبدول سيد (مختصر لاسم عبد الرحمن السيد)، الذي أضحى أوّل «تقدّمي» يفوز في انتخابات تمهيدية على مستوى الولاية في ميشيغان، وذلك بتحقيقه تفوّقاً بفارق ضئيل (نحو 49%) على النائبة هالي ستيفنز (قرابة 48%)، مرشّحة «التيّار التقليدي» التي تحظى بدعم قادة «الديمقراطي» (ومن بين أبرزهم حاكمة ميشيغان غريتشن ويتمر والسيناتور المنتهية ولايته غاري بيترز)، وجماعات مؤيّدة لإسرائيل. وإذ صاحبت معركةَ ميشيغان، التي أعلنت نتيجتها الثلاثاء، تقارير عن تخصيص منظّمة «آيباك» أكثر من 100 مليون دولار لدعم مرشّحيها المفضّلين في دورة انتخابات التجديد النصفي لعام 2026، من ضمنها 30 مليون دولار لهذه المعركة بالذات، من أجل إلحاق الهزيمة بالمرشّحين «الديمقراطيين» المناهضين لإسرائيل، فقد تأكّد، أكثر فأكثر، الطابع المصيري لتلك الاستحقاقات الانتخابية، التي باتت أقرب إلى استفتاء على دور اللوبيات الصهيونية ليس في المشهد الانتخابي فحسب، بل في الفضاء السياسي الأميركي ككلّ. وممّا يعزّز هذا الطابع أيضاً، ميل «صهاينة واشنطن» إلى التصرّف من منطلق استشعارهم خطر هبوط تأييد إسرائيل داخل الولايات المتحدة إلى أدنى مستوياته منذ عقود، خصوصاً داخل القاعدة الانتخابية «الديمقراطية».

شروخ بين «الديمقراطيين»؟

لم يكد الطبيب المصري الأصل وعالم الأوبئة يحسم معركته داخل حزبه على بطاقة الترشّح لوراثة مقعد السيناتور المتقاعد غاري بيترز، مستفيداً من قاعدة شعبية واسعة من «التقدّميين» والناخبين الشباب وعدد كبير من أفراد الجالية العربية الأميركية في ميشيغان، حتى تعرّض لهجوم حادّ من منافسه «الجمهوري» مايك روجرز، الذي اعتبر أن «الخبار في نوفمبر المقبل بسيط: الحسّ السليم أو الجنون التامّ». واستدعى هذا الموقفُ ردّاً من عبدول السيد، الذي وصف المرشّح «الجمهوري» بأنه «دمية في يد ترامب»، مواجهاً محاولات «الجمهوريين» تخويف الناخبين من ديانته وهويّته (مثلما فعله الرئيس دونالد ترامب الذي وصفه بـ«الشيوعي الفاشل») بالقول: «اسمي ليس السبب في أنكم (أي الأميركيين) لا تستطيعون شراء احتياجاتكم من البقالة، اتعلمون ما السبب؟ سياساتهم التافهة». كما غمز المرشح البالغ من العمر 41 عاماً، من قناة اتّهامه بكراهية اليهود على خلفية مواقفه المتشدّدة ضدّ إسرائيل، واصفاً الناخبين اليهود بـ«أخواتي وإخواني»، ومتعهّداً بضمان سلامتهم. على أن هذا الانقسام، الذي جاءت نتيجة انتخابات ميشيغان لترسّخه، لا يقتصر على ما بين «الجمهوريين» و«الديمقراطيين»، بل يمتدّ إلى داخل الحزب الواحد، إذ أدّت نتيجة التمهيديات في هذه الولاية الصناعية الريفية، التي لطالما عُدّت مقياساً لاتجاهات السياسة الأميركية، إلى اشتداد الجدل داخل صفوف «الديمقراطي» حول برنامج السيد الانتخابي، سواء في ما يخصّ انتهاجه «الشعبوية الاقتصادية»، التي يجلّيها رفعه لعناوين محلّية كارتفاع تكاليف الرعاية الصحية، والسكن، وانخفاض القدرة الشرائية - وهو ما جعله أحد رموز ظاهرة «صعود اليسار الجديد» في الولايات المتحدة، شأنه شأن أوكاسيو كورتيز وزهران ممداني -، أو لناحية ما يُظهره من استعداد لاتّباع نهج أكثر صرامة تجاه إسرائيل، ولجابهة المؤسسة الحاكمة وجميع أذرعها، من شركات التأمين مروراً بمانحي الشركات وصولاً إلى منظّمات الضغط في واشنطن. وفي إطار تحليله أسباب تغلّب «التيّار التقدّمي» على نظيره «التقليدي» داخل الحزب، يلفت الباحث في «كلية هاميلتون» والمتخصّص في تاريخ اليسار الأميركي، موريس إيسرمان، إلى أن جاذبية الرسالة التي يحملها

> منذ انطلاق الانتخابات التمهيدية، حقّق «التيّار التقدّمي» في «الديمقراطي» انتصارات ملحوظة

عبد الرحمن السيد يهزّ المشهد الانتخابي الأميركي (من الويب)

السيد ونظراؤه تكمن في إصرارهم على استعادة «الغرائز التاريخية» لـ«الديمقراطيين»، وفي مقدّمتها الدفاع عن العمال ومكافحة التفاوتات والاستجابة لمشكلات الحياة اليومية، مضيفاً أن نجاحاتهم لم تستند إلى القضية الفلسطينية فقط، بل ارتكزت على مطالب تتّصل بالصعوبات الاقتصادية التي يواجهها الشباب والعمال والطبقات الشعبية.

وفي ظلّ الأمر الواقع الذي فرضته هذه النجاحات، وآخرها فوز عبدول، بادر زعيم الأقلّية «الديمقراطية» في مجلس الشيوخ، تشاك شومر، الذي كان داعماً لستيفنز، إلى تهنئة السيّد بفوزه على مضض، حاذياً بذلك حذو زميليه ببرني ساندرز وإليزابيث وارن، ومؤكّداً حاجة «الديمقراطيين» إلى التركيز على ما سمّاه «الهدف المشترك»، المتمثّل بـ«كبح جماح دونالد ترامب» و«هزيمة الجمهوريين».

دلالات ومؤشرات مستقبلية

بالحديث عن دلالات نتائج انتخابات ميشيغان، وهي ولاية محسوبة على «الديمقراطيين»، استطاع ترامب أن يحسمها لصالحه مرّتين خلال العقد الأخير، يشير محلّلون إلى أن تلك النتائج أظهرت قدرة قوى «اليسار الجديد» على توسيع نفوذها وحضورها الشعبي خارج معاقلها الحضرية التاريخية، والتحوّل إلى قوة انتخابية على المستوى الوطني، قادرة على مواجهة «الجمهوريين»، من جهة، وضعضعة هيمنة المؤسّسة الحزبية التقليدية، التي مثّلتها ستيفنز - وذلك لصالح تيّار جديد يربط العدالة الاجتماعية بتقليص نفوذ كبار المتموّلين، ومراجعة شروط الحلف مع إسرائيل -، من جهة ثانية. ويأتي هذا على الرغم من طغيان أجواء منافسة مختلّة، عكسها التفاوت الهائل في حجم الإنفاق الخارجي لمصلحة المرشّحين المدعومين من التيّار «التقليدي» وإسرائيل، وهو تفاوتٌ عوّضه «التقدّميون» في ميشيغان وولايات أخرى من خلال جمعهم أموالاً من المانحين الأفراد مباشرة. وبحسب مراقبين، فإن المفارقة في فوز «التقدّميين» في معركة ميشيغان، تكمن في أن معظم انتصاراتهم السابقة الرئيسة التي حقّقوها في الانتخابات التمهيدية جاءت في معاقل حزبية من مثل نيويورك، خلافاً لميشيغان التي تُعتبر ولاية ريفية وما بعد صناعية.

معضلة «الأمن القومي» الإسرائيلي [5/5]
بدائل نتنياهو: ضجيج بلا برامج

يحيى دبوق

إذا كانت المؤسسة العسكرية والأمنية الإسرائيلية تدرك حجم المأزق الذي يواجهه الكيان، فيما ترفض القيادة السياسية الحالية الإصغاء إلى تقديراتها، فهل ثمّة قيادة بديلة قادرة على فهم حجم التحوّل الحاصل والتصرّف على أساسه؟

لا توحي مداولات «مؤتمر الأمن القومي الإسرائيلي السنوي»، الذي نظّمه «مركز أبحاث الأمن القومي» في تل أبيب بالشراكة مع مجموعة «يديعوت أحرونوت»، بأن هذا البديل بات متوفّراً. صحيحٌ أن رئيس الأركان السابق، غادي آيزنكوت، حاول، خلال المؤتمر، تقديم نفسه بوصفه يتجاوز ثنائية التطرّف والعجز، ويحمل مقاربة تجمع بين الصرامة الأمنية والواقعية السياسية، بعد 41 عاماً طويلة في المجلس الوزاري المُصغّر، ويتبنّى المقاربة القائلة إن الحكومة تخلّت عن الجيش، وإنه لا فائدة من مشروع ضمّ الضفة الغربية - وإن مع تجاهل مطلب إقامة دولة فلسطينية -، نظراً إلى أن الفصل بين «الإرهاب» والسكان يظلّ شرطاً أوّل لأيّ استقرار. إلّا أن هذه المقاربة لا تجعل من آيزنكوت «بطلاً محتملاً» ينتظره الإسرائيليون، بقدر ما تُظهر تناقضاته، وتحمّله مسؤولية وعود قد يصعب عليه الوفاء بها.

فهو يضع ثلاثة شروط لأيّ حكومة مقبلة: الاعتراف بإسرائيل «دولة يهودية ديمقراطية لليبرالية»، قبول قيم «وثيقة الاستقلال»، والالتزام بالخدمة العسكرية أو «الوطنية المدنية». كذلك، يصرّ آيزنكوت على فرض التجنيد على «الحريديم»، ويهدّد بقطع التمويل عن المدارس التي ترفضه، وهو ما سيضع الرجل، إذا ما نجح في الوصول إلى الحكم، أمام اختبار ضغوط الائتلاف وقدرته على الالتزام بهذا الوعد. والأهمّ أن آيزنكوت لا يقدّم رؤية سياسية متكاملة للخروج من دوامة الحروب والصراع، بل يتبنّى مجموعة مبادئ لا ترقى حتى الآن إلى برنامج حلّ قابل للتنفيذ؛ علماً أن التاريخ السياسي الإسرائيلي لا يشير إلى أن الرصيد العسكري يتحوّل تلقائياً إلى رصيد سياسي، فيما لا يبدو الناخب المنجذب إلى اليمين المتطرّف باحثاً عن جنرال معتدل بقدر بحثه عن «زعيم يعِده بالحسم». ومن هنا، يُطرح السؤال عمّا إذا كان جنرال آخر يستطيع النجاح حيث أخفق جنرالات سبقوه إلى السياسة.

إلى جانب آيزنكوت، يقدّم رئيس حزب «الديمقراطيين» ونائب رئيس الأركان السابق، اللواء يائير غولان، نفسه بوصفه بديلاً، وإن كانت فرصه في المنافسة على رئاسة الحكومة محدودة جداً. وإذ يطرح غولان تصوّراً أكثر تحديداً لمسألة الفصل بين إسرائيل والفلسطينيين، فهو لا يتحدّث صراحة عن دولة فلسطينية، بل يضع إسرائيل أمام خيارَين: إمّا ضمّ ملايين الفلسطينيين، وإمّا الانفصال عنهم، معتبراً أن الخيار الأول مستحيل لأن من شأنه إنهاء المشروع الصهيوني بصيغته الديمقراطية. ويترجم غولان رؤيته إلى خطوات عملية تبدأ بمحاربة «الإرهاب» بشكلَيه اليهودي والفلسطيني، وفرض القانون والنظام، وإزالة البؤر الاستيطانية غير القانونية، وصولاً إلى ترسيم الحدود على الأرض. وهو يستند في ذلك إلى تجربته قائداً للمنطقة الوسطى المحتلّة عام 2005، حين بدأ بترسيم الحدود وبناء الأسوار حول المستوطنات. غير أن العنصر الأكثر دلالة في خطابه، هو استدعاء تجربة رئيس الحكومة السابق، أرييل شارون، الذي كان يُستقبل بالرقص في المستوطنات، لكنه عندما وصل إلى رئاسة الحكومة، أدرك أنه لا خيار ثالثاً بين الضمّ والفصل، واختار الأخير بعدما رأى أن الضمّ مستحيل.

إلّا أن المأزق الذي يواجه أيّ بديل لنتنياهو لا يتوقّف عند قدرته على صياغة رؤية، بل يمتدّ إلى طبيعة الائتلاف الذي سيحتاج إليه للوصول إلى الحكم. هنا، يبرز رئيس حزب «يمينا»، نفتالي بينت، المنافس لوزير المالية، بتسلئيل سموتريتش، ووزير الأمن القومي»، إيتمار بن غفير، على قيادة معسكر اليمين القومي - الديني. وبينما يصعب عليه مجاراة منافسيه في كلّ عناوين التطرّف التقليدية، فهو اختار التمايز عبر التشدّد في ملفّات أخرى، في مقدّمها العلاقة مع قطر، إذ أعلن بينت أنه اطّلع، خلال فترة رئاسته للحكومة، على معلومات استخبارات تربط قطر بتمويل «الحرس الثوري الإيراني»، متعهّداً بإعلانها «دولة عدواً» فور عودته إلى السلطة. ويكشف هذا المنطق هشاشة الرهان على تشكيل بديل سياسي واقعي؛ إذ إن أيّ ائتلاف من ذلك النوع سيظلّ مُعرّضاً للاهتزاز مع أوّل تحدٍّ سياسي أو أمني جدّي. وهكذا، لا تعود مشكلة آيزنكوت تحديداً محصورة في مواجهة نتنياهو وائتلافه، وإنما في مشهد سياسي يدفع نحو مزيد من التطرّف، لا نحو الاعتدال.

> كشف المؤتمر أن أزمة إسرائيل لا تكمن في تشخيص مأزقها بقدر ما تكمن في غياب قيادة تملك الرؤية والقرار والقدرة على التنفيذ

في النتيجة، وعلى الرغم من أن الجنرالات السابقين طرحوا، بدرجات مختلفة من الوضوح، وصفة تقوم على مبادرة سياسية - وإن افتقرت إلى التفاصيل -، وعلى تحالفات إقليمية تحدّ من هيمنة المقاربة القائمة على القوة وحدها، بالتوازي مع ترميم العلاقات بالولايات المتحدة وأوروبا، فإنهم لم يقدّموا برنامجاً واضحاً وقابلاً للتنفيذ، ليبقى السؤال: هل ما زالت إسرائيل تملك الوقت لتصحيح هذا المسار قبل أن تتراكم التهديدات المتفرّقة وتتحوّل إلى أزمة شاملة؟ وفق الصورة التي رسمتها مداولات المؤتمر نفسها، تميل الإجابة إلى النفي، خصوصاً أن قدرة الشخصيات البديلة على تحويل تشخيص الجنرالات إلى سياسة عملياتية تظلّ موضع شكّ كبير.

فلسطين

ضغوط سياسية - أمنية لمنع التنفيذ
إسرائيل نحو تجويف «اتفاق غزة»

غزة - **يوسف فارس**

يبدو أن الخلاف بين الحكومة الإسرائيلية والإدارة الأميركية حول اتفاق غزة لا يفتأ يتّسع، في وقت تمتنع فيه حكومة الاحتلال حتى الآن عن إقرار «خارطة الطريق» التي أعلن الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، توقيعها، وذلك رغم بدء دخول بعض الترتيبات المرتبطة بهذه الخارطة حيّز التنفيذ فعلاً. وفي مقابل الضغوط الأميركية والإقليمية المتزايدة على تل أبيب، أظهر اجتماع «الكابينت»، أول من أمس، أن رئيس حكومة الاحتلال، بنيامين نتنياهو، يواجه ضغوطاً من داخل ائتلافه، وحتى من قلب المؤسسة الأمنية؛ لمواصلة الاغتيالات في قطاع غزة، وعدم التعامل مع الهدوء الحالي باعتباره بداية تنفيذ الاتفاق. وبحسب «القناة 12»، سادت أجواء متوتّرة اجتماعَ «الكابينت» بعدما اتهم وزير «الأمن القومي»، إيتمار بن غفير، نتنياهو بالموافقة على تجميد الهجمات في القطاع. وقال بن غفير إن موقفه يقوم على أنه «يجب ألّا يمرّ يوم من دون عمليات اغتيال في غزة، وأن هذا ليس تكتيكياً، بل استراتيجية»، ليردّ عليه نتنياهو بسخرية حملت تلميحاً إلى ارتباط سقف مواقف الوزير بحساباته الانتخابية، قائلاً: «خلال التسعين يوماً المقبلة، لن يكون أيّ شيء تكتيكياً». ولم يقتصر التشدّد على بن غفير؛ إذ تبنّى رئيس جهاز «الشاباك»، دافيد زيني، أيضاً موقفاً مشابهاً، معتبراً أن «حماس» تسعى، عبر التوصّل إلى اتفاق بشأن نزع السلاح مع «مجلس السلام»، إلى «احتواء وإعاقة إسرائيل»، ومنعها من اتّخاذ خطوات ضدّها خلال الأشهر المقبلة. ورأى زيني أن إعلان الحركة قبولها بخارطة طريق تتضمن نزع سلاحها يهدف إلى «إضاعة الوقت».

وتأتي هذه المواقف المتشدّدة من داخل المؤسّستَين السياسية والأمنية في الكيان، فيما تتقدّم على الأرض ترتيبات مرتبطة بـ«خارطة الطريق». إذ أفادت «القناة 15» الإسرائيلية، أول من أمس، بتوقيع اتفاق لإقامة أول موقع لـ«القوات الدولية» في غزة. وبحسب القناة، منح العقد الذي وقّعه «مجلس السلام»، شركة «أركل إنترناشيونال»، وهي شركة أميركية من ولاية لويزيانا سبق أن نفّذت أعمالاً لمصلحة الإدارة الأميركية في دول بينها العراق، مهمّة «بناء القاعدة الجديدة داخل مناطق الخط الأصفر، على مسافة كيلومتر ونصف الكيلومتر من الحدود الشرقية للقطاع». كما أجمع وزراء خارجية مصر وتركيا وقطر على أن «حماس» أوفت بما عليها، في مقابل «عدم التزام إسرائيل باستحقاقات الاتفاق ومواصلتها سياسة التعطيل والمماطلة».

أمّا المؤشر الأبرز إلى عمق الأزمة مع واشنطن والعواصم المنضوية في إطار خطّتها لـ«السلام»، فتمثّل في إبقاء نتنياهو وزير الشؤون الاستراتيجية الإسرائيلي السابق، رون ديرمر، إلى واشنطن، للقاء مسؤولين في الإدارة، في محاولة لتخفيف التوتر وتسوية الخلاف بشأن اتفاق غزة. ونقلت صحيفة «هآرتس» عن مصادرها أن مهمّة ديرمر تتمثّل في معالجة الأزمة التي اندلعت مع الولايات المتحدة إثر التحفّظات الإسرائيلية على اتفاق غزة». وبحسب الصحيفة، أثارت إسرائيل غضب الإدارة الأميركية بعدما قدّمت تحفّظاتها في «مرحلة متأخّرة جداً»، أي بعد التوصل إلى الاتفاق، رغم اطّلاعها طوال أشهر على الإطار الذي عُرض على حركة «حماس».

وبذلك، تبدو حكومة نتنياهو وقد خسرت جزءاً من الغطاء السياسي الذي أتاح لها هامشاً واسعاً في إدارة الحرب، من الصمت العربي والإسلامي إلى الاحتضان الأميركي الكامل. ويشير الموقف المشترك للدول الثماني، إلى جانب الأزمة مع واشنطن، إلى تضييق هامش المناورة أمام الحكومة الإسرائيلية، في وقت يزداد فيه التناقض بين تقدّم بعض الإجراءات العملية المرتبطة بالاتفاق، ورفض إسرائيل إقراره كاملاً. وفي ظل هذا المشهد، يبدو أن نتنياهو سيحاول الالتزام بالقشور الخارجية، وفي مقدّمها وقف الاغتيالات والتحسين النسبي للأوضاع الإنسانية في القطاع، من دون الذهاب إلى توقيع فعلي يفضي إلى الانسحاب من غزة، ولا سيما مع اقتراب الاستحقاق الانتخابي.

> منذ انطلاق الانتخابات التمهيدية، حقّق «التيّار التقدّمي» في «الديمقراطي» انتصارات ملحوظة

> كشف المؤتمر أن أزمة إسرائيل لا تكمن في تشخيص مأزقها بقدر ما تكمن في غياب قيادة تملك الرؤية والقرار والقدرة على التنفيذ

تتداخل معها حسابات الموسم الانتخابي الحافل، تتزايد الضغوط الخارجية على حكومة نتنياهو. إذ صدر بيان مشترك عن قطر والأردن ودول بينها العراق، مهمّة «بناء القاعدة الجديدة داخل مناطق الخط الأصفر، على مسافة كيلومتر ونصف الكيلومتر من الحدود الشرقية للقطاع». كما أجمع وزراء خارجية مصر وتركيا وقطر على أن «حماس» أوفت بما عليها، في مقابل «عدم التزام إسرائيل باستحقاقات الاتفاق ومواصلتها سياسة التعطيل والمماطلة».

أمّا المؤشر الأبرز إلى عمق الأزمة مع واشنطن والعواصم المنضوية في إطار خطّتها لـ«السلام»، فتمثّل في إبقاء نتنياهو وزير الشؤون الاستراتيجية الإسرائيلي السابق، رون ديرمر، إلى واشنطن، للقاء مسؤولين في الإدارة، في محاولة لتخفيف التوتر وتسوية الخلاف بشأن اتفاق غزة. ونقلت صحيفة «هآرتس» عن مصادرها أن مهمّة ديرمر تتمثّل في معالجة الأزمة التي اندلعت مع الولايات المتحدة إثر التحفّظات الإسرائيلية على اتفاق غزة». وبحسب الصحيفة، أثارت إسرائيل غضب الإدارة الأميركية بعدما قدّمت تحفّظاتها في «مرحلة متأخّرة جداً»، أي بعد التوصل إلى الاتفاق، رغم اطّلاعها طوال أشهر على الإطار الذي عُرض على حركة «حماس».

وبذلك، تبدو حكومة نتنياهو وقد خسرت جزءاً من الغطاء السياسي الذي أتاح لها هامشاً واسعاً في إدارة الحرب، من الصمت العربي والإسلامي إلى الاحتضان الأميركي الكامل. ويشير الموقف المشترك للدول الثماني، إلى جانب الأزمة مع واشنطن، إلى تضييق هامش المناورة أمام الحكومة الإسرائيلية، في وقت يزداد فيه التناقض بين تقدّم بعض الإجراءات العملية المرتبطة بالاتفاق، ورفض إسرائيل إقراره كاملاً. وفي ظل هذا المشهد، يبدو أن نتنياهو سيحاول الالتزام بالقشور الخارجية، وفي مقدّمها وقف الاغتيالات والتحسين النسبي للأوضاع الإنسانية في القطاع، من دون الذهاب إلى توقيع فعلي يفضي إلى الانسحاب من غزة، ولا سيما مع اقتراب الاستحقاق الانتخابي.

سوريا

الجماعات المتشدّدة تواصل «التفريخ»
«الانفلات» يضرب في جرمانا

عامر علي

أعاد التفجير الإرهابي الذي استهدف حافلة عاملة لنقل الركاب في مدينة جرمانا في ريف دمشق، تسليط الضوء على حال الهشاشة الأمنية التي تسود سوريا، بالتزامن مع استمرار التحذيرات من توقيع عدد من وجهاء المدينة ذات الغالبية الدرزية وأعيانها، بياناً أكدوا فيه التمسك بوحدة سوريا ورفض أيّ تدخل خارجي فيها. كما جاء بعد أيام من نشر مجموعة تحمل اسم «فرقة أنصار الرسول» تهديداً لأهالي جرمانا، حمل اسم «بيان نذير وبلاغ حاسم إلى المكوّنَين المسيحي والدرزي في جرمانا»، ونُشر عبر حساب الجماعة الناشئة على «واتساب» (https://whatsapp.com/cha 1/0029Vb61tToJ3juyb4IT9w2U/nnel 15).

وعقب وقوع التفجير، تداولت وسائل إعلام بياناً منسوباً إلى الجماعة نفسها، تتبنّى فيه الهجوم، قبل أن تقوم «فرقة أنصار الرسول»، في وقت لاحق، بنشر بيان مطوّل نفت فيه مسؤوليتها عن الهجوم، الذي وصفته بأنه «عمل إجرامي جبان»، وأعلنت إدانته، متهمةً المرجع الدرزي، حكمت الهجري، الذي يقود «الإدارة الذاتية» المدعومة من إسرائيل في السويداء، بالوقوف وراءه بهدف «زعزعة استقرار العاصمة».

وفي وقت لا تتوفّر فيه معلومات دقيقة حول هوية هذه المجموعة الحديثة النشأة، تظهر مراجعة منشوراتها عبر حسابها على «واتساب» - وهو خيار يبدو غير اعتيادي بالنسبة للجماعات «الجهادية» التي تفضّل عادةً استخدام تطبيق «تيليغرام» - تركيز نشاطها بشكل أساسي على مدينة جرمانا، ونشر تهديدات متتالية ضدّ مكونات المدينة من الأقلّيات بحجة «نصرة أهل السنّة». ويتوافق نفي المجموعة لتبنّي الهجوم، واتهامها الهجري، مع توجهات بعض الناشطين ووسائل الإعلام المؤيدة للسلطات الانتقالية، التي اتّهمت، فور وقوع التفجير، «جماعة الهجري» بالوقوف وراءه، وربطت بين الاعتداء وبين بيان أعيان المدينة ووجهائها.

من جهته، لم يتأخّر المرجع الدرزي في الأراضي المحتلّة، موفق طريف -المقرب من رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو-، في استغلال هذا التفجير؛ إذ أصدر بياناً دعا فيه «المجتمع الدولي» إلى تحمّل مسؤولياته والتحرّك إزاء ما وصفه بـ«استمرار استهداف أبناء الدروز في سوريا». وأضاف أن «أصداء الانفجار والاعتداء الذي استهدف أبناء الطائفة الدرزية في جرمانا، والذي أعلنت مجموعة متشدّدة مسؤوليتها عنه، يجب أن تصل إلى جميع عواصم الغرب»، وفق تعبيره. ورأى أن الهجوم يمثّل «جرس إنذار جديداً» لـ«المجتمع الدولي» للتحرّك قبل فوات الأوان، مضيفاً أن «أبناء الدروز لا يزالون يواجهون خطراً حقيقياً وملموساً يهدّد أمنهم وحياتهم، رغم مرور عام على أحداث السويداء»، وداعياً، في الوقت نفسه، إلى الانتقال من الاكتفاء بالمراقبة إلى «اتّخاذ خطوات عملية» لحماية المدنيين ومنع تكرار مثل هذه الهجمات، وفق البيان.

وإلى جانب الحيثيات المشار إليها أعلاه، جاء التفجير أيضاً بعد أيام قليلة من إعلان الأمم المتحدة قلقها من استثمار تنظيم «داعش» للأوضاع الأمنية في سوريا. وفي إحاطة أمام مجلس الأمن حول التنظيم عُقدت الأربعاء الماضي، حذّرت الأمم المتحدة من استمرار مخاطر «داعش»، مشيرة إلى أن الأخير «قد يستغلّ المتغيرات التي تجري في سوريا من أجل توسيع نشاطه». وأضافت أن التنظيم «أظهر قدرة عالية على الصمود والتكيّف مع متغيّرات المشهد الأمني». وكانت الهيئة الأممية كشفت اعتماد التنظيم على واجهات جديدة للنشاط في سوريا، من بينها جماعة «أنصار السنّة» التي تبنّت عدداً من الهجمات الإرهابية.

ويفتح كلّ ذلك الباب أمام مروحة واسعة من الاحتمالات، لا سيما في ظلّ «الهشاشة الأمنية» من جهة، وصعود تيّارات متشدّدة يعلن بعضها بشكل مستمر عداءه لأقلّيات، سواء كان مرتبطاً عضوياً أو غير مرتبط بـ«داعش». ويفرض هذا الوضع على السلطات الانتقالية، باعتبارها الجهة المسؤولة عن أمن البلاد، مضاعفة جهودها لضبط الانفلات، خصوصاً أن هذه الجماعات تتغذّى بشكل أساسي على خطاب الكراهية المتصاعد في سوريا.

◄ وفيات ►

◄ نعوة ►

رئيس مجلس النواب
أعضاء مجلس النواب
ينعون بمزيد الأسى زميلهم المأسوف عليه
نائب رئيس مجلس النواب السابق
المحامي ميشال معلولي
المُنتقل إلى رحمته تعالى، الثلاثاء 4 آب 2026.

إعادة الإنتاج الاجتماعي وجدل الروابط القومية والإسلاميّة: تقسيم العمل بين الانتدابات

ورد كاسوحة *

أحياناً لا يمكن فصل «التاريخ الشخصي» عن الإطار العامّ للانهيارات الحاصلة في المشرق العربي، منذ مئة عام على الأقلّ. حيواتُ البشر في هذه المنطقة، بما في ذلك نُخَبها الفكرية والسياسية، هي من أهمّ علائم التغيُّرات الهائلة التي أتت بها سنوات الاستعمار والتحرُّر الوطني والنكبة الفلسطينية والحروب الأهلية والإبادات، المستمرّة بأشكالٍ مختلفة، حتى يومنا هذا.

حين تضطرّ شرائح اجتماعية واسعة إلى النزوح داخل البلد الواحد، وصولاً إلى الهجرة خارجَه، تحت وطأة استعمار استيطاني أو حرب أهلية أو حتى مجازر جماعية وأعمال تطهير عرقي، فهذا يعني أنّ التفكّك الاجتماعي الحاصل، ليس مجرّد نتيجة لهذا الشكل من العنف الإبادي، الخارجي أو الداخلي، كونه نتاجاً لهذا السياق لا ينفي طبيعته السببية بدورها، فأشكال العنف التي تنطوي عليها الاحتلالات والحروب الأهلية والمجازر، لا تحمل في داخلها بذور الإفناء فحسب، بل الإحياء كذلك، ولكن على شكل التسريع في اندثار النماذج التحديثية السابقة، لمصلحة أشكال هيوليّة وغير مستقرّة من البُنى الاجتماعية.

والحال أنّ الهشاشة المُفرطة التي تُفضي إليها عمليات إعادة التشكُّل هذه، تعوق قدرة المجتمعات التي تعرّضَت للتفكيك سابقاً على معاودة إنتاج فضائها الاجتماعي والسوسيولوجي، بحيث لا يعود ممكناً بسهولة تضفير أو تشبيك العوامل والمعطيات والعناصر العديدة، التي صنعت فرادة هذه البُنى الاجتماعية وجِدّتَها.

وهذه في الحقيقة سيرورة اجتماعية مُعقّدة، تبدأ من علاقة الريف بالمدينة، مروراً بشكل الوجود الاجتماعي والطبقي للمجموعات البشرية المختلفة وانتظامها داخل الحواضر المدينية والريفيّة، وصولاً إلى مساهَمة كلّ فئةٍ من هؤلاء في صياغة شكل الدولة والمجتمع ونمط التحديث، المحايث لتشكُّلِهما معاً.

ويمكن القول، مع كلّ الارتكاس الحاصل حالياً، أنّ التعدّدية الاجتماعية، التي صَنَعت شكل المجتمعات والدول في المشرق العربي، وبدرجة أقلّ مصر، تعود الآن إلى ما كانت عليه قبل نشوء الدولة الأمّة القومية في الإقليم عقب انهيار السلطنة العثمانية. العقد الاجتماعي الذي تخلّت بموجبه المجموعات الدينية والعرقية والثقافية المختلفة عن هويّاتها الجزئية، لمصلحة هويّة وطنية جامعة، في إطار دولة أمّة حديثة، يتفكّك حالياً بأطُرٍ متسارع، ولكن ليس باتجاه رابطة سلطانية ما قبل وطنية وقوميّة كما كانت عليه الحال في الحقبة العثمانية، كون النكوص إلى هذه الوجهة غير ممكن بدوره، في ظلّ القوات التاريخي الذي تعاني منه الروابط القروسطية والقبلية منذ اندثار الخلافة قبل مئة عام ونيّف.

الصيغة الكيانية التي أرستَ دعائم الدولة-الأمة القوميّة في المشرق كانت تحمل في طيّاتها بذور فنائها، ليس بسبب قصورها فحسب في تضفير العناصر المتعدّدة للأمّة مع بعضها كما يجب، بل لأنها عزّزت ما يمكن اعتباره، في أفضل الأحوال، مساراتٍ متناقضة، وفي أسوئها تقسيماً واضحاً للعمل بين الدول الاستعمارية المنتدِبة. ففي حين أرسى الانتداب الفرنسي صيغة الدولة الأمّة الجمهورية في كلٍّ من سوريا ولبنان، ذَهَبت المقاربة الانتدابية البريطانية إلى دعم المَلَكيات، في كلٍّ من مصر والعراق والخليج والأردن، وبطريقة لا تجعل استتباب السلطات هناك ممكناً بدون إحياء الرابطة الإسلامية السابقة، بوصفها فاعلاً غير دولتيّ مبكراً، و«عنصرَ توازُن» يمكن من خلاله ابتزاز الحكومات المَلَكية، أو حتى من أتى بعدها، من سُلُطات وأنظمة حُكم.

هكذا، يصبح ممكناً تقييد الهويّة القومية الجديدة، ولا سيّما في الجمهوريات الوليدة، بدون إظهار معارَضة واضحة لها، وبشكلٍ لا يبدو متعارضاً تماماً مع المسعى الفرنسي النقيض، لتثبيت الهويات الوطنية والقوميّة، كبديل عن الهويّة الإسلامية في المرحلة العثمانية المنقضية. التلويح بالعامل القروسطي هنا، يمكن اعتباره بمثابة استراتيجية كولونياليّة «إنغلوساكسونيّة»، لإبقاء القدرة على التلاعب بالعقد الاجتماعي العربي، حينما يتحوّل هذا الأخير، في نسخته التحديثية، إلى تهديدٍ لمصالح الاستعمار القديم، المباشِرة، في الإقليم.

أهميّة ذلك تبرُز حين نعرف أنّ النزعة القومية العربية، التي تمّ تطويرها مع الجنوح الاستقلالي المناهِض للانتدابات، لم تكن لتستمرّ، حتى مع خروج الاستعمار، بدون الطيف الواسع للحوامل الاجتماعية التي كانت تقوم عليها منذ البداية. تفكيك منطق الأكثرية والأقلّية في الإقليم كان من أهمّ مرتكزات الانتهاء من الرابطة السلطانية التي لم يكن بتنظيمها عقد اجتماعي بين الجماعات والأقوام من أيّ نوع.

استحالة التمييز ضمن هذا الحراك الكبير للقوميين العرب والاشتراكيين وحتى الليبراليين، بين أكثري وأقلّي، أو بين منتمٍ إلى هذه الجماعة أو تلك، هو من ضمن المُنجَزات التي استطاعت هذه الحركة تحقيقها، مع أنها كانت مُهدّدة دوماً بالنكوص عنها، بسبب طروحات الإسلام السياسي الذي أنتجته بريطانيا ورعته.

«الرابطة السلطانية» التي جرى التلاعب بها، استخبارياً حينها، في مواجهة المسار التحرُّري، لم تكن هشّة بالمقدار الذي كان يتمّ تصويره في الأدبيات القومية العربية، بقدر ما كانت عاجزة عن مواجهة المدّ الهائل للنهوض الوطني، الصراع غير المتكافئ مع الرابطة القومية كان بمثابة سمة لذلك العصر، حيث كلّ الظروف والسياقات لم تكن تخدم القروسطية ومن يقف خلفها من سلطات انتداب راحلة وأجهزة استخبارات، إلى درجة أنّ الانتدابات نفسها كانت منقسمة حيال توظيف هذه الورقة من عدمها.

هكذا، بدا واضحاً مَيْلُ الانتداب الفرنسي، بخلاف نظيره البريطاني، وبدفع من نزعته الجمهورية المتجذّرة، إلى مناهضَتها ودعم خصومها، قبل أن تنقلب عليه الروابط القومية والوطنية التي «أذكاها»، وتبدأ بتجذير طابعها التحرُّري ضمن إطار يتجاوز المسعى الانتدابي، في شقّه الفرنكوفوني، لاصطناع روابط بديلة عن الهويّة العثمانية المنبَوْذة.

* كاتب سوري

اتفاق الإطار اللّبناني - الإسرائيلي: هل يصبح لبنان مُستعمَرةً إسرائيليّة؟ [5]

أسعد أبو خليل *

إنّ الترحيب اللّبناني بالتدخّل الأميركي (والإسرائيلي، حُكماً) في الشأن اللّبناني بات رسميّاً ومُكرّساً في المادة التاسعة من اتّفاق الإطار المشين، إذ إنّ التدخّل الأميركي والإسرائيلي في الشأن اللّبناني هو ضروري لـ«المساهمة في تحقيق الاستقرار والأمن للشرق الأوسط برمّته». باتت حكومة لبنان مُطالبة بتحقيق السلام والأمن لإسرائيل من المغرب حتى المشرق. لعلّ هذا سبب قهقهة جوزيف عون في البيت الأبيض في ذلك اللّقاء التهريجي (من الطرفَيْن، كي لا نظلم جوزيف عون).

أمّا المادّة العاشرة، فتتناول الإعمار لكن من دون أيّ ضمان بتنفيذه، ولو كان مشروطاً. جلّ ما تقوله المادة إنّ حكومة أميركا ستحشد «الشركاء الدوليّين (من دون إسرائيل، طبعاً) لتقديم الدعم الفعلي لحكومة لبنان لبناء البلد، وإصلاح البنى التحتيّة، واستعادة الاقتصاد، وخلْق فرص للازدهار». هذه مجرّد وعود فارغة عامّة من دون أيّ شيء محدّد خلافاً لكلّ ما تفرضه الاتّفاقيّة من أوامر محدّدة (تفصيلاً) على حكومة لبنان. والحكومة الأميركيّة عقدت مؤتمرات دعم مالي و«حشدت شركاء دوليّين» لصالح أفغانستان وقدّمت الدول الخليجيّة وغيرها وعوداً بعشرات المليارات من الدولارات والتي لم يصل منها شيء لكابُل. أميركا متخصّصة في عقْد مؤتمرات تمويل لغايات بروباغاندا، ويعلم الخليجيّون الحاضرون فيها أنّ الوعود لا تتحقّق بالضرورة. كان يمكن للبنان أن يطالب بشيء محدّد أو جدول زمني، مثل الجداول الزمنيّة التي تفرضها إسرائيل على حكومة لبنان الخانعة. والوعد بالازدهار والرخاء متلازم في العقيدة الصهيونيّة منذ آخر كتاب لهيرتزل، بعنوان «الأرض القديمة الجديدة». الفكرة أنّه يمكن استعباد العرب وإذلالهم وجعْلهم يرضخون للسيطرة الصهيونيّة من خلال فتات العملات الأجنبيّة التي ترد إلى الحركة الصهيونيّة. ليس من شيء محدّد أو وعْد تفصيلي في المادّة. أي، لا قيمة لها. ولم تحاول الحكومة الفاشلة أن تطلب مبلغاً معيّناً فاتت المادّة خالية من مبالغ الإعمار. لكنّ مشاهد هجرة الآف المغربيّين طلباً للرزق يناقض نظريّة أنّ السلام والتطبيع مع إسرائيل يضمنان تحقيق الرخاء والازدهار.

المادة الحادية عشرة من الاتّفاق تجعل من الحكومة اللّبنانيّة شريكة كاملة في عمليّة

> إنّ الاتّفاق يطالب لبنان بتنفيذ مطالب إسرائيل في القسم المتعلّق بلبنان، كما يطالب لبنان أيضاً بتحقيق أمن إسرائيل وسلامتها. إسرائيل لم تُطالَب بأمر في هذا الاتّفاق على الإطلاق. على العكس، فإنّها استطاعت من خلال اتّفاق (كان مُعدّاً سلفاً في مطبخ اللوبي الإسرائيلي) أن تجعل من كلّ دولة لبنان تجسيداً لجيش سعد حدّاد ودويلته

محاربة تمويل ما تصنّفه إسرائيل بالمنظّمات الإرهابيّة. هنا، تجدّدت الحكومة اللّبنانيّة كي تصبح فرعاً لـ«الشين بيت» لتسهم في معركة إسرائيل ضدّ ما تصفه هي بالإرهاب. لا، أكثر من ذلك: التزمت حكومة لبنان بمنْع وصول أموال الإعمار إلى أيّ من المنظّمات المسلّحة أو لـ«الكيانات المرتبطة»، وقد يكون ذلك يشمل منازل ومزارع ومستشفيات ومستوصفات ومدارس معدّة إذ هي تدخل دوماً في تعريفات حكومة إسرائيل (شريكة حكومة لبنان) للإرهاب.

في المادة الثانية عشرة، تلتزم الحكومتان الشريكتان بـ«تشكيل فرق عمل لصياغة اتّفاق سلام وأمن شامل». هنا، انتقل لبنان من حالة عداء وحرب (أعلنتها إسرائيل منذ 1948) إلى حالة سلام شامل. وتلتزم حكومة لبنان بتوفير الاستقرار والازدهار والأمن لشعب إسرائيل. في المادة الثالثة عشرة، تقول الحكومتان: «وفقاً للأهداف المشتركة لإقامة علاقات مستقرّة وسلمية، تلتزم حكومتا لبنان وإسرائيل بأخْذ إجراءات حُسن نيّة لإثبات دوافع إيجابيّة، بما فيها وقْف كلّ الأعمال العدائيّة أو المضرّة في المحافل الدوليّة والمنتديات القانونيّة وتتعهّدان العمل للبحث عن رفات وإطلاق سراح محتجزَين». تخلّت حكومة العهد التغييري عن كلّ مقوّمات السيادة والكرامة الوطنيّة في هذه البند. ليس هناك من تفاسير لهذا النصّ المُحكم. ونواف سلام لم يصدُق عندما برّر النصّ (وهنا يظهر جهله القانوني، وهو الذي لم يمارس أيّ عمل قانوني حتى في المنصب الإداري في محكمة العدل الدوليّة) بأنّه مؤقّت. ليس هناك أي كلام على إجراء مؤقّت بل إنّ الصياغة واضحة في أنّها لا ترتبط بمدّة زمنيّة وأنّها مترافقة مع الخطوات التي ستلي لإقامة السلام الشامل وغير العادل بين البلدَيْن، على أساس العبد والسيّد. من هذه المادّة وغيرها يتّضح أنّ الاتّفاق ليس إلّا أوامر إسرائيليّة لحكومة لبنان، وحكومة لبنان تتعهّد قانوناً بتنفيذ كلّ ما يردها من أوامر من إسرائيل. على الشعب اللّبناني أن يعي أنّ تصريحات طارق متري وغيره من الوزراء عن توثيق جرائم الحرب الإسرائيليّة لا تكتسي أيّ قيمة سياسيّة أو قانونيّة بوجود هذا البند. لا تزال الحكومة تمارس الخداع على الشعب اللّبناني وبخاصّة عندما تحدّث نواف سلام عن تعطيل مؤقّت لحقّ لبنان في مقاضاة إسرائيل. إذا كان التدبير مؤقّتاً بالفعل، فالنصّ كان لحظ ذلك في جملة صريحة. لم يرتبط النصّ، بحسب الصياغة، بأيّ مدّة زمنيّة بل هو من ضمن التدابير التي تجعل لبنان مُهْمَلاً كي يتمتّع بسلام وتطبيع مع إسرائيل. ليس هناك من سابقة لهذا البند في تاريخ الصراع العربي-الإسرائيلي. صحيح، كان هناك الكثير من الحالات في التاريخ المعاصر (قبل الحرب وبعدها) التي أمرت فيها الحكومة الأميركيّة الحكومة اللّبنانيّة بالتمنّع عن تقديم شكوى ضدّ إسرائيل في مجلس الأمن، وهذا جرى غير مرّة مع هذه الحكومة. وكانت الحكومات تمتثل للطلب الأميركي خوفاً من عقوبات. ووقْف «الأعمال العدائيّة والمضرّة» مسروق من اتّفاق 17 أيّار، وهو يعني حظْر انتقاد إسرائيل في الإعلام اللّبناني.

الحالة الرابعة عشرة توجّه التحيّة للحكومة الأميركيّة وتشكرها على جهودها الخيّرة في دعْم إسرائيل المطلق، لما فيه مصلحة الإبادة الجارية. كما أنّ الحكومتَين تعهّدتا هنا بـ«إنهاء عقود من النزاع وإقامة استقرار دائم وسلام شامل بين البلدَين». وأضافت الحكومتان تحيّة خاصّة «لقيادة دونالد ترامب».

أمّا الفصل الإمني الذي لم تكن الحكومة ترغب في نشره، فإنّه تسرّب في الإعلام الإسرائيلي واللّبناني. تتحدّث المادّة الأولى عن إنشاء «منطقة تجريبيّة» جنوب اللّيطاني عبر خطوات أربع، منها: «اتّخاذ إجراءات قانونيّة ضدّ كلّ المجموعات المسلّحة خارج نطاق الدولة التي تقوم بأعمال غير مسموح بها». أي إنّ الحكومة لبنان التزمت بوقْف أيّ مقاضاة قانونيّة ضدّ إسرائيل والتزمت بمقاضاة أعداء إسرائيل في لبنان. هذه سابقة أخرى. والحديث عن تدمير بنى تحتيّة من قبل الجيش اللّبناني، يعني أنّ وقْع أشجار ستطلب من جيش لبنان تهديم بيوت بنى إرهابيّة تحتيّة. ويطلب الاتّفاق التعويل على طرف ثالث (أي حليف لإسرائيل سيقوم بهذا الدور الخزيه، يا ترى؟ هل هناك أكثر نزاهة من الوسيط الأميركي المحايد؟) كي يتحقّق من تنفيذ لبنان لأوامر إسرائيل. ويتحدّث البند عن قوات «عالية الكفاءة» للجيش اللّبناني للقيام بالمهمّة. وهذه الصياغة تذكّر بحديث لروبيو قبل أشهر عن تشكيل فرق في الجيش اللّبناني تخضع لتمحيص وفحْص من قبل الحكومة الأميركيّة لإطلاقها ضدّ أيّ منظّمات مقاومة لإسرائيل. وستشكّل الحكومتان لجنة عسكريّة للتنسيق (على طريقة التنسيق الأمني الباهر في رام الله). والحُكم اللّبناني التزم بمنْع نشاط حزب الله ومنْع قدراته من النموّ. أمّا ما جرى الحديث عنه عن انسحاب فلم يرد ذكره على الإطلاق. كالعادة، لجأ نوّاف سلّام إلى الكلام المخادع وساوى بين مصطلح «إعادة انتشار» و«انسحاب». لكن إذا كان ذلك صحيحاً، فلماذا لم تصرّ الحكومة اللّبنانيّة غير المكترثة لوضْع الجنوب على تضمين مصطلح انسحاب؟ وتقول المادة إنّ إسرائيل (بعد توفّر شروط تقرّر هي وحدها تنفيذها) يمكن في «مرحلة لاحقة» إعادة انتشار مرحلي «لقوّاتها من أراض لبنانيّة». على طريقة القرار 242 الذي لا نزال نعاني مضاعفاته لأنه «أراض» (بدلاً من «الأراضي») كي لا تكون مُلزمة لبسْط قوّاتها من كلّ الأراضي اللّبنانيّة. هنا أيضاً، لم تصرّ حكومة لبنان وقاضيها الدولي على فرْض كلمة «الأراضي» كي لا يكون هناك لَبس وبخاصّة أنّ لإسرائيل تاريخاً من المماطلة والخداع والتملّص.

وتنفضح المعايير المزدوجة في الاتّفاق عندما تتحدّث المادة الخامسة عن «تحقيق كامل سيادة الدولة اللّبنانيّة على لبنان وضمان أمن بعيد المدى لإسرائيل». أصبحت الدولة اللّبنانيّة ملتزمة قانوناً بضمان أمن إسرائيل من دون أن تطالب إسرائيل بضمان أمن لبنان، وبخاصّة أنّه لم يخرُب أمن لبنان منذ 1948 أكثر من إسرائيل. إنّ الاتّفاق يطالب لبنان بتنفيذ مطالب إسرائيل في القسم المتعلّق بلبنان، كما يطالب لبنان أيضاً بتحقيق أمن إسرائيل وسلامتها. إسرائيل لم تُطالَب بأمر في هذا الاتّفاق على الإطلاق. على العكس، فإنّها استطاعت من خلال اتّفاق (كان مُعدّاً سلفاً في مطبخ اللوبي الإسرائيلي) أن تجعل من كلّ دولة لبنان تجسيداً لجيش سعد حدّاد ودويلته.

كان اتّفاق 17 أيّار أسوأ اتّفاق توصّل إليه لبنان منذ اتّفاق الهدنة. في المقارنة التاريخيّة، يبرز هذا الاتّفاق كأسوأ من اتّفاق 17 أيّار لأنّه جرى فيما كان للبنان -لو أراد- عناصر قوّة داخليّة وإقليميّة. ماذا فعلت حكومة الإذعان؟ هي حاربت وحظرت المقاومة ضدّ إسرائيل قبل أن تجلس على طاولة المفاوضات، كما أنّها صدحت برفْض رغبة إيران في ربط اتّفاقها مع أميركا بوقْف نار شامل في لبنان وتحقيق انسحاب إسرائيلي كامل. رأى قاضي القضاة، سلام، أنّ هذا تفريط في سيادة لبنان. أمّا فرْض شروط أميركيّة وإسرائيليّة على لبنان في هذا الاتّفاق، فهو يُعدّ ذروة السيادة والكرامة الوطنيّة. وفريق 17 أيّار، من حيث الشخصيّات والشهادات والكفاءات، أفضل من هذا الفريق التفاوضي الهشّ، فلا سيمون كرم (الوثيق الصلة من جزّين بانطوان لحد كما يرد في يوميّات البطريرك صفير) ولا السفيرة الحاملة شهادةً في إدارة الأعمال (والتي لا تظهر مواهبها إلّا للسفير الإسرائيلي في واشنطن) مؤهّلان لهذه المهمة. سيأتي يوم، قريب أم بعيد، سيتنصّل من هذا الاتّفاق صانعوه ويستحدثون عن ضغوطات مورست عليهم. تماماً، كما كان صنّاع 17 أيّار (بمن فيهم أمين الجميّل) يتنصّلون منه في مرحلة السيطرة السوريّة. إسرائيل ورثت تركة غازي كنعان وصحْبه، لكنّ وحشيّتها تفوق وحشيّة أيّ من الأنظمة.

(تمّت)

* كاتب عربي
حسابه على إكس «@asadabukhalil»

(مروان بو حيدر)

سياسة أم فكرة دولة؟

بلال اللقيس *

تردّد اللبنانيون في تفكيك هذه الأحجية أو تفسيرها: هل لبنان دولة، أم فكرة لدولة، أم أنه مجرد سياسة من سياسات القوى الغربية؟

فالدولة فكرة قائمة بذاتها في إدراكات أهلها قبل أن تكون إجراءات وأنظمة ومؤسسات، ويجب أن تكون كذلك بالنسبة إلى الخارج، وهذا ما يمكن استشفافه من دلالات الاعتراف الدولي.

يؤكد السياق الذي نشأ فيه لبنان أنه كان مطلبًا لشريحة منه، لا ليكون كيانًا مستقلًا، بل ملاذًا يبتعد عن آخر (والآخر هنا هو العالم العربي الإسلامي). فهو لم يمثّل الاستقلال بالذات، أي الذات القادرة على امتلاك استقلالها والندّية مع الخارج، بل غلبت على قرن من عمره الرعايات الخارجية. ولم تُصنَع هويته إيجابًا، بل بلحاظ التمايز عن العمق العربي لصالح الغرب. فهو نموذج الغرب في الشرق، أو يمكن أن يكون أمّة على غرار التجربة الأميركية، كما ذهب جوزيف أبو خليل، بدعوى أنه البلد الذي «هرب» إليه أهله ومكوّناته من الاضطهاد توقًا إلى نموذج الحرية، أو الكيان الذي يتميّز بالحرية الاجتماعية والسياسية، وفق الفهم الغربي وتعريفه. أمّا إذا دقّقنا في سلوك الخارج، فإن هذا الخارج لم ينظر إلى لبنان بوصفه كيانًا ذاتيًا، بل تعامل معه باعتباره سياسة من سياساته. فلم ينظر يومًا إلى معايير تحقّق الدولة، ولا إلى مدى التزامها بالقانون الدولي وقواعده الآمرة، ولا بميثاق الأمم المتحدة وديباجته وحقوق الإنسان. فليس المهم تحقّق معايير الدولة وأركانها كما في أي دولة، وإنما المهم طبيعة دوره ووظيفته، ومن يمسك بمقود سيره. فمنذ التأسيس، نظرت فرنسا وبريطانيا، ومن بعدهما الولايات المتحدة، إلى لبنان بوصفه سياسة؛ تارةً جسر عبور، وطورًا حاميًا لإسرائيل، أو نموذجًا مشابهًا في دوره. ولم يُنظر إليه باعتباره صيرورة شعب، بل باعتباره شعوبًا. ولم يعنهم أن الشعب مصدر السلطات، فلم يصوغوا علاقات ندية معه، وإنما علاقات تبعية واستلحاق، فهو إحدى أدواتهم. ولا يزال سفراء الغرب يتعاملون مع لبنان من زاوية الوصاية، والأمر والنهي، والتوبيخ، وأحيانًا «البهدلة».

وبوجه عام، تنظر الولايات المتحدة، فضلًا عن فرنسا، إلى لبنان باعتباره ساحة نفوذ سياسي وأمني، أو منصة للتغلغل، وتتفاعل معه ليس من خلال سلطاته فحسب، بل عبر علاقات مباشرة وآمرة مع مختلف مؤسساته الأمنية والقضائية والعسكرية والاقتصادية، فضلًا عن السياسية. وتصل الأمور أحيانًا إلى حدّ وضع «فيتو» على الأسماء المرشّحة للمواقع الأكثر تأثيرًا في البلاد، فيما تتطلع السلطات اللبنانية، وكثير من الأحزاب، إلى رضى الخارج في هذا الشأن.

وبالنسبة إلى الولايات المتحدة، لا يهمّ الدستور، ولا من يحكم، ولا التنوّع، بقدر ما يهمّ كيف يُحكم لبنان، وبأي وجهة. فهذا هو السؤال الملحّ بالنسبة إليها. فهي لا تعنيها الحكومة ولا مشروعية الحكم وعناصره، وإنما تعنيها الحوكمة، أي كيفية إدارة الحكم، بما يشبه حال اتحاد بلديات أو لامركزيات.

وما كان لهذا التغلغل الأميركي أن يبلغ هذا الحد في بنية لبنان ومؤسساته، لو أن لبنان نال استقلاله بجدارة منذ اليوم الأول، بعيدًا عن الصفقات والمساومات، ولو نظر إليه الخارج بوصفه دولة فعلية، تبني علاقاتها على الندّية وتبادل المصالح مع غيرها.

ويتحمّل اللبنانيون المسؤولية الأولى عمّا هم فيه. فمنذ اليوم الأول قدّموا بلدهم على أنه طفل صغير مُدلَّل يعيش على عطف الخارج وحنانه، وهذا يعني أنه ليس سيدًا، بل يحتاج دائمًا إلى وصي. كما قدّموه على أنه «سويسرا الشرق»، وهي فكرة لا علمية، بل سريالية، لازمت لبنان لعقود. فلا هو كسويسرا، ولا ثقافة المنطقة كثقافة أوروبا، ولا محيطه كمحيطها، ولا التوازنات واللاعبون الذين يحيطون بسويسرا هم أنفسهم الذين يحيطون بلبنان.

وقدّمه أهله أيضًا بوصفه رسالة وضرورة للإنسانية، فبالغوا في تصويره مدخلًا لتعايش الأديان. ولكن، هل تتعايش الأديان، أو حتى البشرية، في غياب العدالة، أو في ظل التمييز والعنصرية وموت الإنسانية؟ لقد كانوا يصنعون أوهامًا ويعيشون فيها.

ومنذ يوم «استقلاله» الأول، نفى عن نفسه احتكار قرار السلم والحرب، وافترض أن حمايته موكلة إلى الخارج، وأن الخارج هو من يحدّد له مدار أمنه وطبيعته. ولم يكن أصحاب هذه الآراء والافتراضات منتبهين إلى أن العالم يخضع لتحوّلات. كانوا -ولا يزال بعضهم- يرون أبدية الهيمنة الغربية، وأن المنطق السياسي يقوم على الخضوع للقوي، والغرب كان هو القوي، وكان في صعود، وسيبقى كذلك. ومن هنا برّرت السلطة انحيازاتها باعتبارها «الواقعية»، لا المعايير والمبادئ التي تحكم بناء الأوطان (راجع الميثاق الوطني، ثم محاولات حلف بغداد، ثم اتفاقية القاهرة عام 1969، ثم اتفاق 17 أيار، ثم العلاقة المميزة مع سوريا الأسد، وأخيرًا بنود ما عُرف بالإطار التفاوضي بين وفد الرئيس عون وإسرائيل برعاية أميركية؛ فكلها تستند إلى المبرّر نفسه، وهو أن لا طاقة للبنان، وأن الواقعية تقتضي القبول بتجاوز سيادته والمواثيق الدولية التأسيسية).

لذلك قد ترى من المفارقات اللبنانية الرهيبة أن مكوّنات فيه يمكن أن تقاتل من أجل مصالحها أو حصتها في النظام، وتقدّم عشرات آلاف الضحايا من دون أن تتنازل، لكنها لا تقاتل من أجل شريكها أو من أجل لبنان. وربما لأنها لم تنتقل من العصبية الطائفية والفئوية إلى معنى الدولة الوطنية، أو لأنها تظن أن الدولة هي حيث مصالحها. فعلى مدى أكثر من ستة عقود، لم نسمع أن اليمين اللبناني قرّر، ولو مرة واحدة، مواجهة العدو الصهيوني، حتى سياسيًا أو إعلاميًا أو قانونيًا، فضلًا عن مواجهته عسكريًا، بل حرص على التعامل معه والاستعانة به، أو بالغرب مباشرة، لتعديل الواقع لصالحه.

وإذ نجح اليمين وحلفاؤه في إخراج سوريا من لبنان مطلع الألفية، فقد كان ذلك، بالنسبة إليهم، تأكيدًا أن من لبنان رهن بقدرتهم على إقناع الخارج بذلك. أي إن سياسة لبنان هي من نوع سياسات جماعات الضغط، لا سياسة الدول الوطنية الرسمية (انظر إلى تسمية الاتفاقية مع إسرائيل «إطارًا» كي لا تمر عبر المؤسسات الرسمية). وإذا نجحوا، افترضوا أن ذلك يعود إلى قدرتهم على التأثير والعلاقات العامة، بما يشبه نموذج «إيباك»، لا إلى أن الخارج استغلّهم لمآربه في ضرب شعوب المنطقة وقواها الحية وقوى الشرق الذي يعيشون فيه. ولذلك، لم يُسمع منهم، منذ عقود، بيان إدانة لسياسات الولايات المتحدة في حروبها، أو في تفتيت المنطقة، أو احتلالها أفغانستان والعراق، أو عدوانها على اليمن، أو، أخيرًا، عدوانها على إيران. فكأن هذه الأحداث لا تعنيهم، وكأنهم ليسوا نسيجًا من هذه المنطقة، ولا من هويات شعوبها، ولا من تاريخها. بل إن بعض نخبهم وأحزاب اليمين ذهبت إلى الوشاية. كحزبي «الكتائب» و«القوات»، من دون حرج. ويعتبر مجمل نخبهم أن لبنان رسالته في الإنسانية، لكن أي إنسانية؟ إنها، بالنسبة إليهم، الإنسانية الآتية إلى الغرب ونموذجه، حتى لو كان إبستيميًا ومتوحشًا. فليست الإنسانية، في نظرهم، الوقوف مع المظلوم، ولا القول بالعدل، ولا الالتزام بالقضايا المحقّة، ولا الدفاع عن المضطهدين، بل الإنسانية، كما يفهمونها، هي عين التمحور حول الذات. وحين يبحثون عن مبرّر لأفعالهم، يلجأون إلى التنظير في الحياد.

لذلك، لا تراهم قاوموا، لا بالمعنى المسلح، ولا السياسي، ولا القانوني، ولا الشعبي، ولا حتى الإعلامي، عدو الإنسانية ولبنان، إسرائيل. فليس في ثقافتهم سياسة وطنية، أو سياسة دولة، لأن من مقتضيات السياسة التمايز عن مواجهة المدّ الهائل للنهوض الوطني، الصراع غير المتكافئ مع أجندة تقوم على كراهية العدو الصهيوني، ولا ينعكس ذلك في فهمهم أو سلوكهم الاجتماعي. ولذلك، فإن تصوّرهم للإنسانية هو تصور منحاز إلى الغرب، فسقطوا، كما سقط هابرماس وغيره، في الصمت عن الإبادة الصهيونية بحق الفلسطينيين، رغم دعاواهم بالمواطنة العالمية والإنسانية (وللإنصاف، كانت هناك ظاهرة فريدة اسمها ميشال عون، حاولت قيادة هذا الفريق إلى وعي فعلي بالمنطقة باسم المشرقية، لكنها لم تبصر النور، وارتدت على أعقابها).

لذلك، عندما ننظر إلى لبنان منذ تأسيسه، نراه أقرب إلى سياسة منه إلى فكرة أو صيرورة دولة. فلا يُراد له أن يكون مستقلًا، لأن استقلاله الفعلي يضر أهل السلطة المستفيدين منه، ويضر الخارج الذي سيجد أمامه كيانًا سيدًا، متحدًا، وعقبة في وجه طموحاته. وهكذا تواطأ الطرفان على ألّا يكون لبنان مشروع دولة ووطن، بل أن يبقى سياسة، وأحيانًا ساحة.

* باحث لبناني

سبوت لايت

من ليفربول إلى طرابزون سبور... صلاح يخطف أضواء «الميركاتو»

انتقل النجم المصري محمد صلاح من نادي ليفربول الإنكليزي إلى نظيره طرابزون سبور التركي. ورغم «الصدمة» التي هزّت الوسط الكروي بفعل الانتقال، شكّلت الصفقة خطوة منطقية لاعتباراتٍ عديدة

حسين فحص

بعد أسابيع من الترقُّب وأيام قليلة من الأخبارِ التي ربطته بالانتقال إلى طرابزون سبور، أكّد رابع أكبر نادٍ في تركيا توقيعه مع الفرعون المصري محمد صلاح لمدّة عامَين مقابل راتبٍ سنوي يُقارب الـ 14,5 مليون جنيهٍ إسترليني.

ومنذ اللحظة التي حطّ فيها «أبو مكّة» رحاله في مدينة طرابزون الواقعة في شمال شرق تركيا، أصبحَ صلاح رمزاً لهوية المدينة التي لطالما عاشت في ظل المدن التركية الكبرى، حيثُ نشرَ النادي رسالة فيديو لصلاح وهو يرتدي قميص طرابزون سبور مع الرقم 61 على ظهره، وهو رقمٌ يُشكّل الرمز البريدي لطرابزون، وتبدأ به لوحات أرقام السيارات ويحمل دلالة خاصة لدى المشجّعين الذين يحتفلون تقليدياً بالدقيقة 61 من المباريات... علماً أنّ الرقم الذي سوف يحمله صلاح رفقة الفريق هو الرقم 10.

بهذا الانتقال، أنهى صلاح واحدة من أنجح المسيرات الكروية في تاريخ الدوري الإنكليزي الممتاز، وأغلقَ الباب تباعاً في وجه أندية من الولايات المتحدة الأميركية والمملكة العربية السعودية كانت ترغب في ضمّه. ويبقى السؤال: لماذا تركيا، ولماذا طرابزون سبور تحديداً؟

وقف نادي طرابزون سبور التركي مع النجم المصري محمد صلاح لمدة عامين

> سيُساهم انضمام صلاح في رفع مكانة النادي عالمياً

الوجهة الأنسب

يُعدّ طرابزون سبور أنجح نادٍ تركي خارج الأندية الثلاثة الكبرى، إذ فاز بالدوري التركي الممتاز سبع مرات، مع العلم أنّ جميع القابه باستثناء لقب واحد (2022) كانت في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي.

وأنهى طرابزون سبور الموسم الماضي في المركز الثالث ضمن بطولة الدوري التركي، ما أخرجه من قائمة الفرق المشاركة في دوري أبطال أوروبا لموسم 2026/2027، حيث تأهّل الفريقان الأول والثاني فقط إلى التصفيات، لذا سيُشارك طرابزون سبور في الدوري الأوروبي من خلال المُلحق.

بالنسبة إلى اللاعب الذي ساهمَ في وصول منتخب بلاده مصر إلى الأدوار الإقصائية في كأس العالم 2026 هذا الصيف، وقدّمَ أحد أفضل مواسمه رفقة ليفربول في موسم 2024-2025، يبدو أنّ الاستمرار في المنافسة ضمن بطولات الاتحاد الأوروبي لكرة القدم كان له تأثير كبير في قرار صلاح.

وكان من المُتوقّع أن ينضم صلاح إلى أحد الأندية الثلاثة الكبرى في تركيا، إلّا أنّ الأمر لم يتحقّق إذ لم يُبدِ أيٍ من غلطة سراي وفنربخشة اهتماماً بابن الـ34 عاماً. من جهته، دخلَ بشكتاش في مفاوضاتٍ مُطوّلة وبدا في مراحل مختلفة قريباً من ضمّ صلاح، لكنّه لم يُلبِّ المطالب المالية للاعب ووكيله، وفقاً لما صرّحَ به المدير الفني للنادي أوندر أوزين.

في النهاية، انضمّ صلاح إلى طرابزون سبور وأصبحَ الصفقة الأهم في تاريخ النادي، كما أنه شكّلَ إحدى أكبر الصفقات التي حطّت رحالها في كرة القدم التركية تاريخياً إلى جانب ديدييه دروغبا وجورجي هاجي وروبرتو كارلوس وويسلي شنايدر وروبن فان بيرسي وفيكتور أوسيمين...

منفعة متبادلة

يُعدّ الدوري التركي وجهةً مقصودة للاعبين في أواخر مسيرتهم، حيث يجدون في كرة القدم التركية رواتب تنافسية، وقواعد جماهيرية متحمّسة، وفرصة المشاركة في البطولات الأوروبية.

في الصيف الماضي، سجّلَ الدوري التركي الممتاز ثالث أعلى صافي إنفاق على الانتقالات في عالم كرة القدم، بعد الدوري الإنكليزي الممتاز ودوري المحترفين السعودي، ما يُبرز طموح الدوري المتزايد.

بالنسبة إلى طرابزون سبور، تتجاوز قيمة الصفقة بكثير ما قد يُقدّمه صلاح على أرض الملعب، حيث سيُساهم انضمام صلاح فوراً في رفع مكانة النادي عالمياً وتعزيز فرصه التجارية... ظهرَ ذلك جزئياً من خلال تحقيق الصفحة الرسمية لنادي طرابزون سبور عبر موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك» قفزة ضخمة في عدد المتابعين خلال فترة قصيرة عقب الإعلان عن التعاقد مع قائد منتخب مصر، حيثُ زاد عدد المتابعين بنحو 1,4 مليون شخص خلال 48 ساعة فقط.

وعلى نسقٍ موازٍ، من شأن انضمام صلاح إلى طرابزون سبور أن يزيد الاهتمام الدولي بالكرة التركية، حيثُ إنّ كل من يُحب مشاهدة صلاح سيبدأون بمتابعة الدوري التركي.

قد لا تكون هذه الوجهة التي توقّعها الكثيرون لأفضل لاعب في الدوري الإنكليزي الممتاز في موسمَي 2018/2017 و2025/2024، ولكن بالنسبة إلى اللاعب والنادي على حدّ سواء، يُمثّل طرابزون سبور فرصة لبدء فصلٍ جديدٍ بطموحٍ كبير.

رفع عدد الأجانب بين الجدل والمكاسب المُنتظرة

أثار قرار رفع عدد اللاعبين الأجانب المسموح لهم بالمشاركة في مباريات الدوري اللبناني لكرة القدم إلى خمسة لاعبين نقاشاً واسعاً بين المؤيّدين والمعارضين. فما هي فوائد القرار المرتقب؟

بين اعتبار البعض أن الخطوة الثورية برفع عدد اللاعبين الأجانب لدى كل فريق على أرض الملعب قد تقلّص فرص اللاعب اللبناني، وبين اعتبار البعض الآخر أنها تمثّل فرصةً حقيقية للارتقاء بمستوى البطولة المحلية وتقديم فرقٍ أقوى

> تبدو إيجابيات رفع عدد الأجانب أكبر بكثير من السلبيات

في الاستحقاقات الخارجية، تبدو الإيجابيات أكثر من السلبيات بكثير استناداً إلى مستوى العديد من المباريات التي شهدناها خلال الموسم المنتهي، وظهور فرق دون المستوى المطلوب للعب في الدرجة الأولى، وهو ما دفع، بلا شك، الاتحاد اللبناني للعبة إلى إقرار تقليص عدد الفرق مع نهاية الموسم المقبل.

طبعاً تقترن الإفادة برفع عدد الأجانب بمستوى اللاعبين الذين سنستقدمهم الفرق، إذ لا يخفى أن بعض أندية الدرجة الأولى استقدمت في أحيانٍ كثيرة لاعبين من الخارج ظهروا بمستوى أقل من المحليين. لذا فإن هذه المسألة تبدو مفصلية في سبيل الاستفادة من القانون الجديد الذي يحتاج إلى ارتقاء الأندية إلى المستوى المطلوب في ما خصّ التعاقدات الأجنبية لكي تكون الفوائد العامة مثالية.

فوائد القرار تبدأ من جودة المحترف لا من عدده (طلال سلمان)

المطلوبُ لاعبٌ مُميّزون

من هنا، يمكن اعتبار أن وجود عددٍ أكبر من اللاعبين الأجانب أصحاب الجودة العالية ينعكس مباشرةً على المستوى الفني للدوري، إذ إن اللاعب المميّز سيضيف نسقاً أفضل ومتعةً في المباريات، وحلولاً تكتيكية متنوعة، ويرفع من جودة فريقه، ويزيد من قوة المنافسة ويجذب الجماهير إلى الملاعب والشاشات.

لكن كما أسلفنا، ستكون السلبية طاغية في حال عدم حسن اختيار نوعية اللاعب الأجنبي، إذ إن استقدام محترفين بمستوى متواضع لن يحقّق أي قيمة مُضافة، بل سيحرم اللاعب المحلي من فرص المشاركة من دون مقابل فني حقيقي.

وعند الحديث عن اللاعب المحلي، تطل إيجابية أخرى في هذا الإطار، إذ إن الاحتكاك اليومي مع لاعبين أجانب أصحاب مستوى مميّز سيساعد اللاعب اللبناني على التطوّر، ففي التدريبات والمباريات سيكتسب خبرات جديدة، ويرفع من مستوى التزامه وانضباطه.

وهنا يمكن التوقف عند تجارب عرفتها العديد من البطولات الوطنية الآسيوية التي أظهرت أن الاحتكاك بلاعبين أجانب مميزين ساهم في تطوير اللاعبين المحليين، لكن عندما تزامن ذلك طبعاً مع برامج فعّالة لتأهيل المواهب الشابة. توازياً، يبدو جلياً أن هذه البطولات قدّمت فرقاً أقوى على الساحة الخارجية مقارنةً بتلك التي مثّلت لبنان خارجياً، لذا فإن الأندية اللبنانية عانت في الأعوام الأخيرة من فجوةٍ فنيةٍ مُقارنة بأندية نافستها مثلاً في كأس الاتحاد الآسيوي ودوري التحدّي الآسيوي، التي تستفيد عملياً من عددٍ أكبر من اللاعبين الأجانب وإمكانات مالية أعلى. لذا فإن زيادة عدد المحترفين ستمنح ممثّلي لبنان قوةً أكبر في البطولات القارية، خصوصاً إذا نجحوا في استقطاب لاعبين يحدثون الفارق في المراكز الأساسية.

رفع القيمة التسويقية للدوري

عموماً كلما ارتفع المستوى الفني للبطولة، ازدادت جاذبيتها بالنسبة إلى المشاهدين والرعاة ووسائل الإعلام. لذا فإن وجود أسماء أجنبية معروفة نسبياً أو تتمتع بمستوى عالٍ، قد يساهم في جذب اهتمام أكبر بالبطولة، ورفع قيمة حقوق النقل التلفزيوني والرعاية التجارية لأن نجاح أي دوري لا يعتمد فقط على المنافسة، بل أيضاً على جودة المنتج الرياضي الذي يقدّمه للجمهور.

ولا يقتصر وجود عدد أكبر من اللاعبين الأجانب على المعايير الفنية والتسويقية، إذ يفرض أيضاً تغييرات إيجابية في بيئة العمل وطريقة الإدارة العامة سواء من ناحية التحضير البدني أو التغذية أو التحليل الفني أو التنظيم الإداري، لأن اللاعب الأجنبي المُعتاد على الاحتراف يرفع سقف المعايير داخل الفريق، وهو أمرٌ سينعكس إيجاباً على جميع اللاعبين المحليين والأجهزة الفنية.

باختصار، لا يمكن الحكم على نجاح قرار اعتماد خمسة لاعبين أجانب في المباراة من خلال الرقم وحده، بل من خلال نوعية اللاعبين المُستقدمين، والضوابط التي ترافق القرار، ومدى التزام الأندية بتطوير الفئات العمرية، فإذا نجحت الأندية في الجمع بين استقطاب محترفين يصنعون الفارق، ومنح الفرصة للاعبين الشباب، سيشكّل القرار نقطة تحوّل حقيقية نحو دوري أكثر قوة وتنافسية. أمّا إذا اقتصر الأمر على زيادة العدد من دون استراتيجية واضحة، فقد تتحوّل الخطوة إلى عبءٍ مالي وفني لا يخدم مستقبل كرة القدم اللبنانية.

ولهذا السبب كان الاتحاد اللبناني صارماً عندما رفع عدد اللاعبين الأجانب ضمن تعديلات على نظام الدوري بهدف تطوير المنافسة، إذ أبقى وقتذاك على متطلّباتٍ تتعلق بمشاركة اللاعبين الشباب لعددٍ محدّد من الدقائق بهدف خلق توازن بين جودة البطولة وتنمية المواهب المحلية.

(الأخبار)

أخبار عالمية

بطل العالم في «الدارتس» يسخر من جمال

أشارَ النجم البريطاني لوك ليتلر، بطل العالم مرّتَين في لعبة رمي السهام (الدارتس)، جدلاً واسعاً في الأوساط الرياضية بعد تصريحاته التي اعتبر فيها نفسه الرياضي الأكثر هيمنة والأفضل عالمياً بين أبناء جيله من مواليد عام 2007، واضعاً نفسه في مرتبة أعلى من نجم كرة القدم الإسباني ونادي برشلونة لامين جمال.

وفي تصريحاتٍ نقلتها صحيفة «ذا صن» البريطانية، قلّلَ ليتلر (19 عاماً) من حجم الإنجازات التي حقّقها جمال أخيراً، مُعتبراً أنّ صدى النجاح الذي يحظى به النجم الإسباني مُبالغ فيه.

وأشارَ إلى أنّ حصيلة جمال التهديفية في بطولة كأس العالم الأخيرة لم تكن بتلك الضخامة التي تتحدّث عنها وسائل الإعلام، حيثُ لم يُسجّل سوى هدف واحد وصنعَ آخر، مؤكّداً بثقة أنّ جمال ليس أفضل لاعب في العالم في هذه الفئة العمرية.

ودافعَ النجم البريطاني الملقّب بـ«ذا نيوك» عن أحقّيته بلقب الأفضل استناداً إلى أرقامه القياسية غير المسبوقة في عالم رمي السهام، حيثُ نجحَ خلال عام 2026 في حصد جميع بطولات دوري «بي دي سي» (PDC) الست الكبرى، محقّقاً نسبة انتصارات تاريخية.

كلافينيس تدعو إنفانتينو إلى الاستقالة

أعلنت رئيسة الاتحاد النرويجي لكرة القدم، ليز كلافينيس، أمس الجمعة، أنّ الاتحاد سيُطالب رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا)، جاني إنفانتينو، بالاستقالة، في ظل تصاعد الانتقادات التي يوجّهها الاتحاد النرويجي إليه منذ عدة سنوات. وقالت كلافينيس للصحافيين: «إنّه لا يحظى بالثقة المؤسّسية اللازمة لقيادة فيفا بشكل مستقر في ظل المناخ الحالي. ولم يعد هناك طريق للعودة بالنسبة إلى جاني إنفانتينو».

وأضافت: «سنُطالب رئيس فيفا بالاستقالة اعتباراً من الآن». وجاءت تصريحات كلافينيس غداة اجتماع لمجلس إدارة الاتحاد النرويجي، ناقشَ فيه، من بين ملفات أخرى، مستقبل رئيس «فيفا» الذي يواجه انتقادات واسعة.

ويترشّح إنفانتينو لإعادة انتخابه لولاية رابعة وأخيرة في آذار/مارس المقبل.

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
السبت 8 آب 2026 العدد 5845

(نهاد علم الدين)

الأخبار al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين

مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
امل الاندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص. ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الاوائل
15ـ 01 /666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
ملحق أسبوعي

كلمات

«الأوديسة»... اثنا عشر امتحاناً في طريق العودة إلى الذات
3-2

السبت 8 آب 2026
العدد 5845 السنة العشرون
Samedi 8 Août 2026 nº 5845 20ème année

تمّام هنيدي
شاعر الالتقاطات المُدهِشة

محمد ناصر الدين

«لم يعد للأمر- على أيّ حال- أهمية تُذكر/ ولعلّ من الأجدى/ أن تفكّر في ذلك الشعور الرطب/ في اختراق الندى مسامك/ وفي قيمة أن تشرب حتى ترتوي». برحيل الشاعر السوري تمّام هنيدي (1984-2026) قبل أيام، تفقد قصيدة النثر العربية واحداً من أصواتها الهادئة والرصينة. ابن قرية صما في محافظة السويداء لم يكن من الشعراء الذين يحيطون تجربتهم بالبيانات أو النظريات، ولم يكن معنياً بإثبات شرعية قصيدة النثر أو إعلان انتصارها على غيرها من الأشكال الشعرية.

كان يكتب، ببساطة نادرة، كما لو أن الشعر أقدم من كل هذه المعارك، وكما لو أنّ القصيدة لا تحتاج إلى محامٍ يدافع عنها، بل إلى شاعر يعرف كيف يصيخ السمع إلى العالم، إلى آلهة الشعر المهاجرة على حدّ قول الفيلسوف الألماني هيدغر. الشاعر والصحافي المعارض الذي درس الإعلام في جامعة دمشق وهاجر إلى السويد في أعقاب المقتلة السورية، أحب الشعر كمشروع حياة قبل أن يشرع كتابته، وكان الجمال هو ما يجذبه بصرف النظر عن الشكل الذي يظهر من خلاله.

لذلك، لم تكن قصيدة النثر في دواوينه الثلاثة «وشوم الضباب» (2014) و«كما لو أنّي نجوت» (2016) عن «منشورات المتوسط»؛ و«يجدر بك أن تتبخّر» (2020) عن «دار ممدوح عدوان» مساحة لمعارك أدبية عفّى عليها الزمن حول مشروعية قصيدة النثر وأشكالها وتنويعاتها، وإنما باعتبارها مساحة وجد فيها حريته الخاصة.

ولعل هذه الحرية هي ما يفسّر إعجابه بتجارب شعرية سورية وعربية صنعت هي الأخرى فرادتها وبصمتها الخاصة، مثل محمد الماغوط ورياض الصالح الحسين، وعادل محمود ونزيه أبو عفش ولقمان ديركي ومنذر مصري. كما صرّح في إحدى مقابلاته بأنه طالما تمنّى أن يكتب بسلاسة وديع سعادة، وأن هدوء بسام حجار والميلنخوليا التي ترشح في كتاباته ظلّا يدهشانه مع مرور السنوات.

لم يكن تمام يعدّد أسماءً لتكوين شجرة نسب أدبية، بقدر كان يرسم خريطة ذوقه الشخصي، تلك التي تقوم على الإعجاب أكثر مما تقوم على التأثّر. غير أن أبرز ما في هذه التجربة هو تصوّره البسيط والعميق للشعر؛ ففي زمن بات كثيرون يظنون أن القصيدة لا تكتمل إلا إذا غُلّفت بالغموض وأُثقلت بالاستعارات، كان هنيدي يرى أن الشعر قد يكون كامناً في مشهد واقعي خالص، مستلهماً مقولة الجاحظ عن معاني الشعر المرميّة على قارعة الطريق، وما على الشاعر إلا التقاطها. لذلك ظل شعره بعيداً عن الاستعراض اللغوي، وقريباً من العين التي ترى والذاكرة التي تحفظ. وقد ازداد هذا الميل وضوحاً مع نضج تجربته ولا سيما في ديوانه الأخير.

صار المجاز يتراجع تدريجاً في قصائده، والوضوح أقرب إلى نفسه من الالتفاف والإيهام، إذ لم يعتبر تعقيد اللغة فضيلة، ولا إرهاق القارئ دليلاً على عمق النص. لا يشعر من يقرأ دواوين هنيدي أن الشاعر في معركة تشفيرية مع المتلقّي، أو أن القارئ مُلزَم بأن يكون شريكاً في العملية الإبداعية، أو خصماً ينبغي امتحان ذكائه، وهذه رؤية نادرة في زمن يخلط فيه كثير من الشعراء بين الغموض والعمق، وبين الإبهام والقيمة الفنية.

وربما لهذا السبب أيضاً ظل تمّام هنيدي حذراً من كل المعارك النظرية التي أحاطت بقصيدة النثر. وحين سُئل إن كان ينبغي للشاعر أن يُتقِن كتابة الشعر الموزون قبل أن يكتب قصيدة النثر، أجاب بأن «الشعر نفسه ليس معنياً بهذا الجدل، إنه يمضي في طريقه بينما يختلف النحاة والكتاب والشعراء والنقّاد حوله».

حين رحل هنيدي عن قريته صمّا إلى السويد، بدأت تفاصيلها الصغيرة . لون التراب، أسماء الحقول، الأعشاب البرية، بركة الماء، طرق الحياة اليومية . تتحوّل إلى مادة شعرية: صارت قريته، أكثر من المدينة-المنفى التي هاجر إليها، هي البطل الخفي في شعره. بعد صراع مرير مع المرض، رحل الشاعر الذي كان يؤمن بأن القصيدة لا تُنتزع بالقوة من اللغة، بل تُلتقط برفق من الحياة.

وربّما لهذا سيظل حضوره قائماً في ذاكرة قرائه، كلّما مروا بمشهد عادي، أو سمعوا حكاية صغيرة، أو لمحوا تفصيلاً كان الجميع قد عبروا بجانبه من دون أن ينتبهوا إليه. هناك، على قارعة الطريق، حيث كان تمّام هنيدي يرى الشعر دائماً، سيبقى شيء من صوته ينتظر من يلتقطه.

ملف

بعد ثلاثة آلاف عام على كتابتها، لا تزال «الأوديسة» معاصرة كما لو أنها كُتبت لعالمنا: صحيح أنها تبدأ بحرب وتنتهي بعودة البطل إلى وطنه، لكن هوميروس لا يكتب في جوهر أدبه عن البحر ولا عن الوحوش، بل عن الإنسان، وكل جزيرة يصل إليها، أوليس ليس محطة جغرافية بقدر ما هو امتحان جديد، وكل وحش يواجهه يخلع قناع الأسطورة ويلبس وجهاً من وجوه النفس البشرية.

لهذا بقيت «الأوديسة» حيّة يستلهمها الأدب وتستنطقها السينما كما في فيلم كريستوفر نولان الأخير، أو تظهر لها ترجمات جديدة في كل اللغات ومنها العربية، مثل تلك التي أنجزها الشاعر العراقي محمد مظلوم السنة الفائتة وصدرت عن «منشورات الجمل». نبحر في هذا المقال مع البطل أوليس ونرافقه في أسفاره الاثني عشر، في محاولة لاكتشاف هذه الرحلة الخالدة في الآفاق وفي النفس البشرية، وما الذي يجعل من أحداثها راهنةً وجذابة في عصر السيولة والسهولة والسرعة التي لا تترك للأبطال ذلك البطء الذي يستوجبه التأمل، ولا الثبات الذي يليق برقدة الفرسان الأخيرة.

نغوص في «الأوديسة» لنكتشف خلود هذه الملحمة التي لا تسأل كيف ينتصر الإنسان فحسب، بل كيف يعود إلى نفسه بعدما تغيّره الحرب، والخسارة، والزمن، إذ «لا أنتَ أنت، ولا الطريق طريق»، كما يقول الشاعر أدونيس

تقديم وإعداد **محمد ناصر الدين**

«الأوديسة»... اثنا عشر امتحاناً في طريق العودة إلى الذات

النسيان

تبدأ الرحلة من أرض آكلي اللوتس، حيث لا معارك يخوضها فرسان أوليس ولا دماء يسفكونها، بل نبات صغير ضحل يجعل من يأكل ثمرته ينسى كل شيء: اسمه، ورفاقه، وأرضه، وحتى رغبته في العودة إلى الوطن. يبدو الخطر هنا مغرياً، ولذلك يدرك أوليس أن أول امتحانات الرحلة هي الذاكرة. يجر رجاله بالقوة إلى السفينة، وكأن الإنسان لا يضيع عندما يُهزم في معركة، بل عندما ينسى البوصلة التي توجّهه لخوضها. ليست زهرة اللوتس سوى استعارة لكل ما يجعلنا نعيش من دون غاية، أو نستبدل الحاضر المريح بالحلم-البوصلة الذي خرج الإنسان من أجله في أي معركة يخوضها.

الغرور

من النسيان ينتقل هوميروس إلى امتحان آخر أكثر عنفاً: السيكلوب. يدخل أوليس مغارة العملاق بدافع الفضول، رغم تحذير رجاله. بواجه هناك قوة لا تعرف حرمة لقانون ولا أدباً لضيافة، وترى أن الحق هو ما تستطيع أن تنتزعه بمخالبها وأنيابها وحسب. يخدّل السيف حامله، فيلجأ إلى العقل والمكيدة حين يخدع بوليفيم ويقول إن اسمه «لا أحد»، فيتحول الاسم نفسه إلى

> **هل غيّرت سيرسي بإغرائها طبيعة الرجال، أم كشفت ما كان مختبئاً وفاسداً في سرائرهم؟**

سلاح. غير أن هوميروس لا يجعل الذكاء خاتمة الحكاية، لأن أوليس، ما إن تُكتب له النجاة، حتى يستسلم لغروره، ويكشف اسمه الحقيقي للعملاق. في تلك اللحظة يبدأ انتقام بوسيدون إله البحر، وتتحول لحظة الانتصار إلى نفق جديد من التيه. كأن الشاعر يقول إن الحفاظ على النصر أصعب من النصر، وإن الغرور مقتلة الفارس.

الإغراء

ثم يأتي دور سيرسي، الساحرة التي تحوّل الرجال إلى خنازير. تبدو الحكاية في ظاهرها قصة سحر، لكنها تخفي سؤالاً عميقاً: هل غيّرت سيرسي بإغرائها طبيعة الرجال، أم كشفت ما كان مختبئاً وفاسداً في سرائرهم؟ يستسلم رفاق أوليس للطعام والدعة قبل أن يسألوا عن هوية مضيفتهم، وكأنهم كانوا مستعدين للتحول منذ البداية. أمّا أوليس، الذي يحميه هرمس بعشبة سحرية، فلا يهزم الساحرة إلا بقدرته على السيطرة على نفسه. ولكن رغم ذلك، يقع البطل في امتحان آخر، إذ بعد أن يحلّ ضيفاً في قصرها، يمضي عاماً كاملاً في الراحة، ناسياً العودة إلى إيثاكا، حتى يوقظه رجاله من هذا النسيان الجديد: ليس كل ما يبعد الإنسان عن غايته كارثة؛ يمكن الخطر أحياناً في الحياة المريحة التي تجعله يؤجّل حلمه يوماً بعد يوم. لا تمر الطريق إلى الوطن في الأوديسة إذن عبر الراحة، وإنما عبر مواجهة الحقيقة التي يخشاها الجميع. ولهذا تطلب سيرسي من أوليس أن ينزل إلى مملكة الموتى قبل أن يواصل رحلته.

الموت

في العالم السفلي يلتقي البطل بأمه التي لا يستطيع أن يعانقها، ثم بأخيل، أعظم أبطال الإلياذة، الذي يفاجئه باعتراف يهدم صورة المجد التي قام عليها منطق الحرب برمّته: «أفضّل أن أكون أجيراً عند فلاح فقير على الأرض من أن أكون سيداً على جميع الموتى.» بهذه الجملة ينتقل هوميروس من تمجيد البطولة إلى تمجيد الحياة نفسها. فالمجد، مهما بلغت ذراه، لا يعوض يوماً واحداً تحت الشمس. منذ تلك اللحظة، انتقل أوليس من مطاردة الخلود الذي تمنحه الشهرة، إلى البحث عن البيت الذي يمنحه الحياة. من العالم السفلي يخرج أوليس إنساناً آخر... لم يعد يريد أن يُخلَّد اسمه، بقدر رغبته في أن يرى أباه، ويضم زوجته، ويعرف ابنه. ولهذا يبدو النزول إلى مملكة الموتى أشبه بطقس عبور؛ فمن لم ينظر إلى الموت وجهاً لوجه، لن يعرف قيمة الأشياء الصغيرة التي تنتظره في نهاية الطريق.

المعرفة

ما إن يعود البطل إلى البحر حتى يجد نفسه أمام امتحان جديد، لعله أكثر الامتحانات راهنية في الأوديسة. إنها جزيرة الحوريات، اللواتي يغوين البحارة بالجمال لا شك، وبسلاح أمضى وأفتك: المعرفة. ها هنّ يعدن أوليس بأن يخبرنه بكل ما جرى في طروادة، وكل ما يجري في العالم، وكل ما خفي عن البشر. إنّه إغراء المعرفة المطلقة، ذلك الوهم الذي يرافق الإنسان منذ فجر الحضارة. يعرف أوليس أنه لا يستطيع مقاومة هذا الصوت، فيسد آذان رجاله بالشمع، ويطلب منهم أن يربطوه إلى صارية السفينة. يرغب البطل في هذا المقطع أن يصيخ السمع، لكنه بكثير من الحكمة يضع درء المخاطر في مرتبة أعلى. ليست الشجاعة عند هوميروس في أن يزعم المرء أنه أقوى من الإغراء، بل أن يعرف حدّه، وأن يضع لنفسه مكابح القيود تمنعها من السقوط في الهاوية. يبدو هذا الدرس معاصراً بشدة في عالم يغرق كل يوم أكثر فأكثر في الثورة الرقمية، والتدفق الهائل في المعلومات والبيانات، ويخلط بين امتلاك المعرفة وامتلاك الحكمة.

الخلود

لا يكاد أوليس ينجو من غناء الحوريات حتى يجد نفسه في ورطة جديدة. الامتحان الأخير يأتي من اليابسة لا من البحر. يصل الناجون إلى جزيرة الشمس، ويحذّرهم أوليس من المساس بقطعان الإله هيليوس، كما أوصاه تيريسياس وسيرسي. يذبح الرجال الأبقار المقدّسة حين يدهمهم الجوع، فتأتي العاصفة التي تغرق السفينة، ولا يبقى من الحملة كلها سوى أوليس وحده، يتشبث بلوح خشبي فوق بحر لا قرار له. يلفظه اليمّ إلى جزيرة كاليبسو، وهنا يضعه هوميروس أمام السؤال الذي يشكّل قلب الأوديسة كلها. تحب الإلهة الرجل المُنهك، وتعرض عليه ما لم يُعرض على بشر من قبله: الخلود، فلا يشيخ، ولا يموت، ولا يعرف الألم مرة أخرى. سبع سنوات يقضيها البطل في جنة النعيم، ومع ذلك يجلس كل يوم على الشاطئ، يبكي وهو ينظر إلى الموج. لماذا يرفض إنسان الخلود؟ لا يجيب هوميروس مباشرة على هذا السؤال المحيّر، لكنه يترك أفعال أوليس تنطق بالجواب، في حيرته حول معنى الحياة التي تستمد معناها من طولها أو من حدودها ومحتواها. ليست بينيلوب أجمل من كاليبسو، لكنها المرأة التي شاركته عمره، والذكريات التي لا تستطيع حتى الآلهة أن تمنحها له. لذلك يختار أوليس أن يعود إلى حياة فانية، بدل أن يبقى خالداً في جزيرة لا يعرف فيها الحنين ولا الانتظار. إنها لحظة يعلن فيها هوميروس أن فرح الزوال جميل كالغيمة التي يخاطبها الشاعر.

الرحمة

حين يغادر أوليس جزيرة كاليبسو، لا يصل إلى وطنه مباشرة. تعصف به الأمواج مرة أخرى حتى تلفظه على شاطئ الفياكيين، عارياً، مُنهكاً، مُتعباً من وعثاء السفر. هناك تراه الأميرة ناوسيكا كإنسان يحتاج إلى النجدة، تعطيه ثياباً، وتدلّه على الماء، وتقوده إلى قصر أبيها. بعد كل ما سبق من وحوش وعواصف، ما تعيده ناوسيكا إلى أوليس هو شيء بالغ الأهمية: الكرامة، إذ من السهل أن تنقذ إنساناً من الموت، لكن الأصعب أن تعيده إلى إنسانيته. ولهذا تبدو الرحمة، عند هوميروس، قوة لا تقل شأناً عن الشجاعة، وأحياناً تتفوق عليها. فمنذ بداية الرحلة كان أوليس ينجو بذكائه، أمّا الآن فإنه حيّ بفضل إنسانية الآخرين. في قصر الفياكيين، يستمع إلى شاعر ينشد أخبار حرب طروادة من دون أن يعرف أن البطل المنشود يجلس أمامه. يبكي أوليس وهو ينصت إلى حياته تتحول إلى قصة، ويكتشف أن الإنسان يشرع في حياة ثانية حين تروى تجربته على الألسنة.

الهوية

من هنا تبدأ العودة الحقيقية إلى إيثاكا. من أوليس الذي يبحث عن النجاة، إلى الساعي نحو البيت الذي أصبح يعرف، أكثر من أي وقت مضى، لماذا يستحق كل هذه الرحلة. حملته سفن الفياكيين وهو نائم، إلى شاطئ إيثاكا. وبعد عشرين عاماً من الحرب والتيه، بطأ أخيراً الأرض التي هدس بها في كل ليلة من ليالي رحلته. لكن هوميروس يفاجئ القارئ مرة أخرى، تتكلّل العودة بالضباب. هل غطّى هذا الضباب على هوية أوليس نفسها. فبعد عشرين عاماً من الحرب، لم يعد الرجل الذي غادرها، كما أن الجزيرة لم تعد الجزيرة التي حملها في ذاكرته. وهكذا يطرح هوميروس سؤاله الأصعب: هل يبقى الوطن هو المكان نفسه، أم أنه يعيش في الذاكرة أكثر مما يعيش في الجغرافيا؟ و هل العودة حدث جغرافي أم حدثٌ وجودي؛ إذ لا يعود الإنسان إلى المكان الذي غادره، بقدر ما يرجع إلى المعنى الذي كان يمنحه ذلك المكان. لم تكن العودة عند أوليس وصولاً إلى إيثاكا، بل إعادة لاكتشافها، وإعادة اكتشاف نفسه معها، حين «لا أنتَ أنت، ولا الطريق طريق»... تخبره أثينا أن الطريق إلى القصر لن يكون درب ملك يستعيد عرشه، بل مسلك متسوّل يدخل بيته خفية، وكان الذكاء بات وسيلة لمعرفة الحقيقة قبل إصدار الحكم. ولهذا يبدأ أوليس رحلته من كوخ الراعي يوميوس، الرجل الذي بقي وفياً لسيده طوال سنوات الغياب. ومن خلال هذا الراعي البسيط يعيد هوميروس ترتيب القيم؛ فالمملكة لا بد أن تجمع حجارة القصر بالبشر الذين ظلوا أوفياء لها حين غاب ملكها.

الوفاء

في الكوخ نفسه يلتقي أوليس بابنه تيليماخوس، الذي عاد هو الآخر من رحلة يتسقّط فيها أخبار أبيه. لم يعد الفتى الذي تركته الحرب طفلاً، صار رجلاً يحمل عبء بيت كادت أركانه تتهاوى. وحين تكشف أثينا عن هوية أوليس، يقف الابن مذهولاً، قبل أن يحتضن أباً لم يعرفه إلا من الحكايات. في هذه اللحظة تختفي كل أمجاد طروادة، ولا يبقى أمامنا سوى أب وابنه يعوّضان عشرين عاماً من الغياب. لقد خرج أوليس إلى الحرب باحثاً عن المجد، لكنه يعود ليكتشف أن أفدح خساراته لم يكن الزمن، وإنما السنوات التي لم يرَ فيها ابنه يكبر. يدخل أوليس قصره في هيئة متسوّل، ويجلس في زاوية يراقب الرجال الذين يحتلون بيته ويأكلون من خيراته. كان يستطيع أن يكشف هويته منذ اللحظة الأولى، لكنه تعلّم من رحلته الطويلة أن الحقيقة تحتاج أحياناً إلى الصبر أكثر مما تحتاج إلى الشجاعة.

وفي الطريق إلى القصر نقرأ واحداً من أجمل مقاطع الملحمة: على كومة من التراب، يرقد الكلب العجوز أرغوس، الذي كان يوماً رفيق أوليس في الصيد. حين لا يتعرف القوم بسيدهم، نرى الكلب قد رفع رأسه، وهزّ ذيله باضطراب شديد، ثم مات بعد أن رآه... يمسح أوليس دمعة سريعة في جفنه لئلا يراه أحد، ويواصل السير. لعل هوميروس أراد بهذا المشهد أن يقول إن الحرب تستطيع أن تسرق من الإنسان سنوات عمره، لكنها لا تستطيع أن تمحو ما بناه على الإلفة والوفاء والمحبة.

الزمن

أمّا بينيلوب، فما زالت تقاوم بطريقتها. هي زوجة تنتظر وامرأة تدافع عن مملكتها بالحيلة نفسها التي دافع بها أوليس عن حياته في البحر. كانت تنسج كفناً لوالد زوجها نهاراً، ثم تنقض غزلها ليلاً، فتؤجّل القرار يوماً بعد يوم، وكان مادة الغزل هي الزمن ذاته. كانت تشتري بالأيام أملاً لا تعرف إن كان سيتحقق، لكنها رفضت أن تسلم بيتها إلى غرباء قبل أن تستنفد كل وسائل المقاومة، وحين تستدعي المتسوّل لتسأله عن زوجها، يقف أوليس أمام أصعب امتحاناته كلها. لقد واجه السيكلوب، ونجا من الحوريات، ورفض الخلود مع كاليبسو، لكنه الآن يقف أمام المرأة التي أحبها، ولا يستطيع أن يقول لها إنه عاد. يكتفي بأن يمنحها أخباراً تُبقي على ومضة من الأمل، بينما تخفي هي دموعها خلف رباطة جأش تعلّمتها خلال عشرين عاماً من الانتظار. ثم تقرر بينيلوب أن تضع حداً لهذا الزمن المعلّق: تأمر بإحضار قوس أوليس، وتعلن أن الرجل الذي يستطيع شد الوتر، وإطلاق السهم عبر اثنتي عشرة فأساً مصطفة، سيكون زوجها. يعرف الخطّاب أنهم أمام امتحان قوة، لكن بينيلوب تعرف أن المسابقة تنطوي على رسالة مشفّرة. هي وحدها التي تعلم أن هذا القوس لم يعد جزءاً من الحرب، وإنما يحمل بصمة صانعه، وأن الرجل الذي يستطيع أن يشدّه ليس سوى الرجل الذي صنعه الزمن نفسه. حين يتقدّم المتسوّل طالباً أن يجرّب، تنفجر القاعة بالضحك. لكن القارئ يعرف أن الرحلة الطويلة أوشكت على نهايتها، وأن السنوات العشرين كلها تفضي إلى هذه اللحظة، حيث سيبدأ أوليس، للمرة الأخيرة، امتحانه الأصعب: كيف يستعيد بيته، ويعيد إليه العدالة، من دون أن يفقد إنسانيته.

الانتقام

حين يشدّ أوليس القوس، يدرك الجميع أن المتسوّل لم يكن متسوّلاً قط. يمر السهم بين الفؤوس الاثنتي عشرة كما لو أنه يشق عشرين عاماً من الغياب دفعة واحدة، ثم يستدير الرجل إلى الخطّاب معلناً اسمه للمرة الأولى منذ عودته. تبدأ المعركة الأخيرة، لكنها تختلف عن كل ما سبقها. فلم يعد أوليس يقاتل من أجل المجد، ولا من أجل النجاة، إنه قتال من أجل البيت، أو بالأحرى من أجل استعادة النظام الذي انهار في البيت. يسقط الخُطّاب واحداً تلو الآخر، لأنهم انتهكوا القانون الأقدس في العالم الهوميري: قانون الضيافة. غشّوا بيت رجل غائب كضيوف، ثم تحولوا إلى أصحاب البيت، واستباحوا ثروته، وهدّدوا ابنه، وضغطوا على زوجته حتى أصبح القصر نفسه رمزاً لفوضى فقدت كل حدودها. هنا يصمّم هوميروس المذبحة كمحاولة لإعادة العدالة إلى مكان اختلت فيه الموازين. ومع ذلك، لا يسمح للقارئ أن يغرق طويلاً في العنف. فحتى في قلب المعركة يميّز أوليس بين المذنب والبريء، فيعفو عن المغني والرسول اللذين لم يشاركا في الجريمة. إنها إشارة صغيرة، لكنها تكشف أن العدالة تميّز بين البر والفاجر. ومع هذا تبقى المذبحة من أكثر صفحات الأوديسة قسوة، لأنها تذكّرنا بأن العنف، حتى عندما يستعيد حقاً ضائعاً، يترك وراءه جراحاً لا تُمحى. كان يمكن أن تنتهي الملحمة بالدم، لكن هوميروس يؤجّل النهاية مرة أخيرة، لأنه يعرف أن استعادة البيت بالقوة لا تعني أن البيت قد عاد إلى الحياة.

السلام

تنزل بينيلوب إلى القاعة، وتنظر إلى الرجل الذي يقول الجميع إنه أوليس، لكنها لا تركض نحوه. عشرون عاماً من الغياب علّمتها أن الحنين لا يكفي لإثبات الحقيقة. تطلب من الخادمة أن تنقل سرير الزوجية إلى خارج الغرفة. عندها يفقد أوليس هدوءه لأول مرة: يحتج بغضب، ويقول إن ذلك مستحيل، لأن السرير لم يُصنع ليُنقل. لقد نحته بيديه حول جذع شجرة زيتون بقيت جذورها مغروسة في الأرض، ثم بُني البيت كله حولها. في تلك اللحظة فقط تتعرف به بينيلوب من السر الذي عاش بينهما وحدهما. يمنحنا هوميروس هنا واحدة من أجمل صور الحب في الأدب العالمي. فما يجمع الزوجين يتخطّى العاطفة إلى الذاكرة المشتركة، والعمل الذي أنجزاه معاً، والزمن الخاص بينهما من خشب وشجر. لقد تغير كل شيء خلال عشرين عاماً، إلا ذلك الجذر المغروس في الأرض، الذي أصبح صورة للوطن نفسه؛ وطن يقوم على ما يبنيه البشر معاً عبر الزمن. لا يكتفي هوميروس بهذه المصالحة، فما إنْ يستعيد أوليس زوجته حتى يذهب إلى أبيه، لايرتيس، الذي اعتزل الناس وانصرف إلى بستانه يعتني بأشجاره. هذه الخاتمة المقصودة آخر ضربات المعلم هوميروس: فالرجل الذي خرج من إيثاكا ليحاصر مدينة، يعود إليها ليجد أباه بين أشجار الزيتون. كأن الرحلة كلها كانت انتقالاً من الحرب إلى الزراعة، ومن السيف إلى الشجرة، ومن المجد إلى الحياة اليومية. من بعدها يثور أقارب الخطّاب طلباً للثأر، ويتهيأ الجميع لجولة جديدة من القتل. هنا فقط تتدخل أثينا، لتوقف الحرب نفسها. تفرض الصلح، وتأمر بإلقاء السلاح، وتعيد إلى الجزيرة السلام الذي غاب عنها طويلاً. لم يرد هوميروس للسيوف أن تفتك أكثر في اللحم الحي. اختار أن يختم ملحمته بالجنوح إلى السلم، ليقول إن العدالة قد تحتاج إلى السيف، لكنها لا تكتمل إلا عندما ينام السيف في غمده. ربما تساعدنا هذه الفكرة كي نفهم لماذا كتب هوميروس الأوديسة بعد الإلياذة، ففي الأولى كان السؤال: كيف يموت البطل؟ أمّا في الثانية فأصبح السؤال كيف يعيش. كلما اقترب أوليس من بيته، صغرت المعارك واتسعت الأسئلة؛ بدأ رحلته وهو يواجه البحر، وأنهاها وهو يواجه نفسه.

ربما لهذه الدروس كلها لا تزال الأوديسة حية بعد ثلاثة آلاف عام. فالتجارب التي واجهها أوليس ما زالت تجاربنا نحن. ما زلنا نواجه النسيان، والغرور، وأسئلة الموت، ووهم المعرفة المطلقة، وإغراء الخلود، ونبحث عن الرحمة، ونختبر الوفاء، ونصارع الزمن، ونسأل عن معنى العدالة، ونحلم بسلام لا يكون هدنة بين حربين. ليست الأوديسة، في النهاية، كتاباً عن البحر والمغامرة وحسب: لقد فهم هوميروس، قبل ثلاثة آلاف عام، أن أصعب رحلة هي رحلة العودة إلى الذات، لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه؟

«أوليس وأرغوس» (1885) للرسام بريتون ريفيير

نثر

جرّبتُ حياة الإله ولم تعجبني عن كأس العالم وأشياء أخرى

فراس خليل*

«لقد انتهى موسم الفوتبول، لا مزيد من الألعاب، لا مزيد من القنابل، لا مزيد من المشي.
لا مزيد من التسلية، لا مزيد من السباحة.
سبعة وستون عاماً.
سبعة عشر عاماً أكثر مما احتجت أو أردت.
ملل...
اتذمّر دوماً.
ليس أمراً مسلياً... لأحد.
تزداد جشعاً.
تصرّف بما يناسب سنّك.
استرخِ...
هذا لنْ يؤلمك أبداً».

كانت تلك الكلمات آخر ما كتبه هنتر س. طومسون، على التلة الكاتبة، قبل أن يطلق رصاصة على رأسه في مزرعته «أول فارم» في ولاية كولورادو، في العشرين من شباط (فبراير) 2005.

لا يا سيد طومسون... لن أفعلها كما فعلتها أنت.
يضحك آدم ضحكة طويلة، ثم يضع المسدّس الذي كان يعبث به جانباً.

ـ ما زلت في التاسعة والعشرين. وربما لا أحتاج إلى انتظار الخمسين لأعرف معنى الملل... لكنني، على الأقل، سأنتظر كأس العالم القادمة. يصمت قليلاً.
لقد انتهت كأس العالم.
لا مزيد من المباريات كل مساء. لا مزيد من العدّ التنازلي حتى صافرة البداية.
لا مزيد من المقاهي الممتلئة بالجماهير. لا مزيد من الرسائل التي تبدأ بـ«مع مين اليوم؟».
لا مزيد من الشوارع التي ترفع أعلاماً لا تنتمي إليها.
لا مزيد من الشعور الغريب بأن العالم كله يشاهد الشيء نفسه في اللحظة نفسها.
عاد كل شيء إلى طبيعته. وربما هذه هي المشكلة.
في الأصل، لماذا أتعامل مع هذه الأيام كأنها فراغ؟ فراغ من ماذا؟ من كرة القدم؟ اللاعبون عادوا إلى أنديتهم.
المدرّبون بدأوا مشاريع جديدة. المحلّلون وجدوا قضية جديدة يتجادلون حولها.
أنا أنا، فأتصرف وكأن البطولة كانت آخر شيء يستحق الانتظار.
تباً...
لماذا لا أمارس هواية جديدة؟
ربما يجب أن ألعب كرة القدم بدلاً من الاكتفاء بمشاهدتها طوال حياتي. أو أمارس الجري. أو أتعلم العزف.
أي شيء... قبل أن أبدأ العدّ التنازلي للمونديال القادم.
ـ الكسالى هم أمل البشرية. إنهم لا يفتعلون الحروب.
يتوقف قليلاً ثم يضحك.
كفاك يا رجل. حتى الكسل تجد له معنى وفائدة.
توقّف عن التأويل المُبالغ فيه، وحاول أن تعيش كإنسان طبيعي، مثل بقية البشر.
«مثل بقية البشر؟»
جرّبت حياة الإله ولم تعجبني. ها أنا أعود إنساناً فانياً مثلكم.
يَمشي متثاقلاً إلى المطبخ. يضع الماء على النار. يشعل سيجارة، منتظراً القهوة.
لطالما أحب تلك العبارة:
«القهوة أخت الوقت».
ربما القصيدة الوحيدة التي أحبها كانت «بيروت خيمتنا».
وربما يعود ميله إليها – لا غير – إلى أن سميح شقير قد غنّاها.
لا أحب محمود درويش. كانت آخر مرة قرأتُ له فيها في الثانية عشرة من عمري، على ما أذكر. كنت مريضاً، متغيّباً عن المدرسة لعدة أيام، ومنذ ذلك الحين ارتبط اسمه في ذاكرتي بالحمّى أكثر مما ارتبط بالشعر.
أحبّ سميح القاسم. كلما سمعت: «عنقي على السكين يا وطني...»، أشعر أن ما يأتي بعدها ليس شعراً فحسب، بل موقف كامل.
الغريب أنني لا أستطيع أن أقرأها ببرودة. أقرأها دائماً كما لو أن أحداً يلقيها واقفاً، ليس جالساً.
وربما لهذا السبب بقيت عالقة في ذاكرتي أكثر من عشرات القصائد التي حفظتها ثم نسيتها.
في زيارته الأخيرة إلى جورجيا، اكتشف عادة جديدة: القهوة مع الحليب... وَرَشّة قرفة. أصبحت طقساً صغيراً يقاوم به الأيام.
ـ هل تريدين قهوة؟
سأل صديقته في الغرفة المجاورة.
ـ نعم... لكن ليس مع القرفة.
تتوقف قليلاً ثم تبتسم.
ـ ربما مع قليل من الويسكي، كافيين كحولي.
تتناول دفتر الملاحظات الموضوع على الطاولة. تقلب صفحاته ببطء، ثم تبدأ بالقراءة بصوت مرتفع، وكأنها تعرف مُسبقاً أنه لن يقاطعها.
الإثنين صباحاً
يشارك السيد «أ» صورةً على فيسبوك. فنجان قهوة، مع «كوفي مايت» رخيص، موضوع قرب نافذة تجمّع الثلج على حافتها.
ويكتب فوق الصورة:
«القهوة أخت الوقت...
القهوة لا تُشرب على عجل».
مع كل نقرة إعجاب، تزداد الحياة بؤساً قليلاً. يموت أحدهم من «زحطة» في الحمّام. ويتقلّب درويش في قبره.
وفي اليوم نفسه، يستيقظ السيد «ف»، ويقرر أن يضع في قهوته مادةً كحولية مألوفة، وغريبة في الوقت نفسه. وعن غير قصد، تماماً عن غير قصد، يَلعَن أخت الوقت.
*****
ـ غريبة جداً الطريقة التي تكتب بها.
تغلق الدفتر، ثم تنظر إليه.
ـ أعرف أنك لا تحب محمود درويش، لكن ليس إلى هذه الدرجة.
يَصمُت.
فتُتابع:
ـ مرّ وقت طويل منذ كتبتَ شيئاً جديداً. أعتقد أنك يجب أن تنشر كتاباتك.
لا أريد أن يحدث معك ما حدث مع «باترسن». (يرفع حاجبيه مستفسراً).
ـ بطل فيلم جيم جارموش... الكلب أكل دفتر قصائده. كل ما كتبه اختفى في ليلة واحدة.
ابتسمَ ابتسامة صغيرة.
ـ لو أكل كلب دفتري، ربما سأعتبرها مراجعة أدبية مجانية.
ضحكَتْ. فتح الدفتر مرة أخرى.

يوماً ما...
سأزوّر موتي.
وأحضر جنازتي متخفياً،
ثم أعيش إلى الأبد...
معك.

رفعت رأسها وقالت مبتسمة:
ـ حتماً ليس معي.

قطع الصمت صوت المعلّق الرياضي القادم من التلفاز.
ـ بلّش الماتش.

على كنبة عريضة، تمدّد آدم أمام الشاشة. زجاجة بيرة تقف على الطاولة. المباراة بدأت منذ دقائق، لكنه لم يكن مندمجاً كما اعتاد.
منذ انتهاء كأس العالم، أصبحت مباريات الأندية تبدو أصغر مما يتذكر. أبطأ، وأقل أهمية. كأنّ أحداً خفّض درجة الألوان في العالم.
جلست هي إلى جانبه.
في البداية كانت مستلقية، تراقب المباراة من بعيد. ثم نهضتْ. دخلت المطبخ.
عادتْ تحمل كوب ماء. مرّتْ أمامه ببطء، ثم جلست من جديد. هذه المرة باعتدال. كانت تراقبه أكثر مما تراقب المباراة.

بعد دقائق، أشارتْ إلى الشاشة.
ـ هيدا... (تذكّر اسم لاعب).
ـ هو...
صحّح لها الاسم بهدوء. ثم عاد ينظر إلى المباراة.
أخذتْ تدوّر كوب الماء فوق الطاولة الصغيرة، ثم دفعته بخفة. سقط الكوب، وانسكب الماء.
التفتْ فوراً.
تناوَل الجريدة القريبة منه، وبدأ يمسح الماء بسرعة. راقبَتْه بصمت.
لم يكن يهتم بالمباراة بقدر ما كان يهتم ألا تبتلّ الأرض.
ابتسمتْ.
للمرة الأولى منذ زمن، شعرتْ أن كرة القدم لم تعد تنتصر عليها.
انتهت المباراة، خسارة جديدة.
وقبل أشهر قليلة، كان سيظل غاضباً حتى صباح اليوم التالي.
أمّا الآن، فاكتفى بإطفاء التلفاز.
ـ يبدو أنّك بدأتَ تشفى.
نظر إليها باستغراب.

ـ ماذا؟
ـ مَن كأس العالم.
ابتسم بسخرية.
ـ أو ربما... أصبتَ بمرضٍ جديد.
ـ أي مرض؟
ـ الملل.
ساد الصمت مرة أخرى. ثم قالتْ:
ـ لماذا لا تمارس الرياضة؟ تعالَ نجرّب الجري معاً.
ظلّ ينظر إلى الأرض.
ـ المشكلة أنّ لديّ هوايات كثيرة. كنت أهرب من الملل إليها. أمّا الآن، فقد أصابها الملل أيضاً.
لم تعد المشكلة أنني ليس لديّ شيء لأفعله... بل إنني لم أعد أرغب بفعل أي شيء.
توقّف قليلاً. ثم قال وهو يبتسم:
ـ حتى أحلامي... ما زالت تلعب كرة قدم.
ـ البارحة حلمت.
قالها وهو ما زال ينظر إلى الشاشة السوداء بعد إطفاء التلفاز.

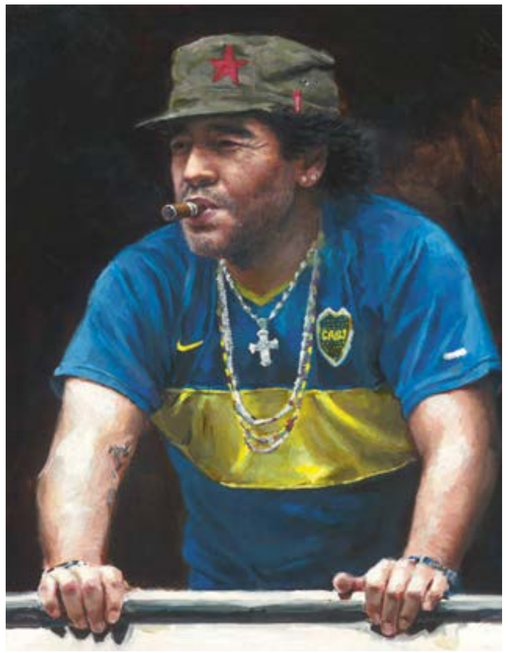

ـ حلمتُ أنني في ملعب كرة قدم. ملعب ضخم. فارغ تماماً. لا جمهور، لا لاعبين. ولا حتى حكم.
كنت أجلس وحدي في المُدرّجات، أنظر إلى العشب.
فجأة... وجدتُ نفسي واقفاً في منتصف الملعب.
سمعتُ أحدهم يناديني. استدرت.
شخص أعرفه... أو أظن أنني أعرفه. ملامحه كانت مألوفة، لكنها تتغيّر كلما حاولت تذكرها.
رمى إليّ كرة.
أمسكتُها.
ثم بقيت أحدّق فيها، كأنني أراها للمرة الأولى، كأنها شيء لا أعرف استخدامه.
سكتَ قليلاً.
ـ تخيّلي... بعد كل هذه السنوات، أنسى ماذا أفعل بالكرة.
فتحت الدفتر من جديد.
وقرأتُ بصوت منخفض:
«حلمتُ أنني ميت...
استيقظتُ.
لأجد أنني كذلك...
في الحقيقة».

لم يعلّق.
هي أيضاً لم تنتظر تعليقاً.
على الجدار المقابل، كانت صورة لتشي غيفارا. أسفلها عبارة: «أحلامي لا تعرف حدوداً».

ابتسم ساخراً.
ـ لو تعرف يا رفيق تشي ماذا فعل الزمن بالأحلام. لم تعد الأحلام بلا حدود. أصبحت بالكاد تجد مكاناً تعيش فيه.
سكتَ.
ثم تابع:
الغريب، أننا نقضي نصف حياتنا نحاول تحقيق أحلامنا، وحين نحقّق بعضها، نكتشف أننا اشتقنا إلى الأيام التي كنا نحلم فيها فقط.

ـ مُن لاعبك المُفضّل؟
سألته وهي تغلق الدفتر.
ـ دييغو أرماندو مارادونا.
ابتسمتْ.
ـ واضح أنك ما زلت شيوعياً.
ضحك.
ـ يبدو أن مارادونا أصبح حزباً سياسياً.
ـ ألم تكن شيوعياً فعلاً؟
أشعل سيجارة.
تأمّل دخانها قبل أن يجيب.
ـ كنتُ أميل إلى الشيوعية. وربما ما زلت أميل إليها، لكنني تعبتُ من الأيديولوجيات كلها.
شخص أعرفه... أو أظن أنني أعرفه. ملامحه كانت مألوفة، لكنها تتغيّر كلما حاولت تذكرها.
أمسكتُها.
ثم بقيت أحدّق فيها، كأنني أراها للمرة الأولى، كأنها شيء لا أعرف استخدامه.
سكتَ قليلاً.
ـ تخيّلي... بعد كل هذه السنوات، أنسى ماذا أفعل بالكرة.
فتحت الدفتر من جديد.
وقرأتُ بصوت منخفض:
«حلمتُ أنني ميت...
استيقظتُ.
لأجد أنني كذلك...
في الحقيقة».

لم يعلّق.
هي أيضاً لم تنتظر تعليقاً.
على الجدار المقابل، كانت صورة لتشي غيفارا. أسفلها عبارة: «أحلامي لا تعرف حدوداً».

ابتسم ساخراً.
ـ لو تعرف يا رفيق تشي ماذا فعل الزمن بالأحلام. لم تعد الأحلام بلا حدود. أصبحت بالكاد تجد مكاناً تعيش فيه.
سكتَ.
ثم تابع:
الغريب، أننا نقضي نصف حياتنا نحاول تحقيق أحلامنا، وحين نحقّق بعضها، نكتشف أننا اشتقنا إلى الأيام التي كنا نحلم فيها فقط.

ـ مُن لاعبك المُفضّل؟
سألته وهي تغلق الدفتر.
ـ دييغو أرماندو مارادونا.
ابتسمتْ.
ـ واضح أنك ما زلت شيوعياً.
ضحك.

«مارادونا» للفنان الارجنتيني فابيان بيريز

قصيدة

نشيد لبحر بيروت

زياد كعوش *

البحرُ لا يَنسى
وينسى ظلةُ الشجرُ
ظلّ يطولُ به المعنى
وفي مبناه يُختصرُ
فتشتُ في بيروت عن حيفا
ووجدتُ ما أفضى به الحجرُ
بيروت سبع مدائنٍ طويت
بلا سفرِ
ويظل يُشعلُ حبها السفرُ
هَرَمت عُصوراً في تَجدُّدها
وأصابها في ضعفها عصرُ
فكأنّما زلّت بها قدم
أو غابَ عن بابها الحراسُ والحذرُ
من خبّأ النارَ سراً في خزانتها؟
أيسألُ الماءُ، والميناءُ، والقدرُ؟
نَاديتُ يا بحرُ
هل طرادةٌ بُعثتْ
فمضى يُحدثُ ضمتهُ البحرُ
■■■
لا تُصدّق ساعة الميناء، قال
لا تقرأ أناشيد الدمار،
واصغِ لناقوس الحنين يدقُّ في صدر المدينة
نَبض قلبك
رَفة العين التي سكنت عيون الأمهات
صبيحةَ ذاك النهار.
قالت لجارتها
رأيتُ الماء يبكي
والسماء تنوءُ من حزنٍ
على صدر البحار
قلبي يحدّثني، بقول الهول آتٍ
في ثياب الرعد آتٍ
في التقاء الماء مع ريح ونار
هنا بيروت...
السادسة وسبع دقائق
من نهار الانهار
تثب النوافذ من محاجرها على طول الجدار،
وبعد يتبعها الجدار
موت المسافر والشوارع
تحت أنهار الحجارة والشظايا والغبار
وضحكة مفتوحة
كجريدة في مدخل المقهى
تطير وصاحبيها في الفضاء
هنا بيروت...
الأمهات الناجيات النائحات على الرصيف
بقايا العائلات المُثقلات بالاحتمال
وبالرجاء وكل أنواع النزيف
هنا بيروت
تنزف، تنزف... تمشي نحو بيوت تعرفها
لا تجدُ بيوت
تركض، تركض، تركض
نحو مواعيد الأعراس
فيسبقها التابوت
هنا بيروت...
جسد يلملم نفسه ليعود،
ثم يضيع في فوضى المكان
تبحث عنها في الأروقة المُنهارة،
في الأعمدة،
وفي الخوف الراشح من وجع الجدران
تسأل عنها كل رياح الأرض
فينكرها القرصان
لكنّا نعرفها
من خطّ الحناء على كفّيها
من لؤلؤ دمع سال مع الحسرات على خدّيها
من نقش كنعاني
في ثوب عاد من الهجرات إليها
من أعراس النخل على كتفيها
هذي بيروت ونعرفها
إذ تمشي
يسري خَدر في الأرض لوقع من قدميها
لو قالوا عنها أمّ الدنيا
ما زادوا شيئاً عن ما كان لديها
لأنّ الله أنار الكون
لتسعى أفلاك وشموس بين يديها
■■■
بيروت!
كيف وثقت، والروح القديمة لا أمان لها؟
أكان عليك أن تثقي؟
وأعطيت مفاتيح الهواء
ومخزن قمحك السري للغوضى
وللريح الغوي النزق
قد حدّثتك قصائد اليونان قبلاً
عن حصان الرعد والبرق
هذه طروادة جاءت إليك
تجرّ حصانها الخشبي
في الساحات و الطرق.
فكيف غفلت
عن رايات فطرقل وأخيل
وقد حضرا؟
وتلك مراكب الإغريق في الأفق!
سقط الزمان على المكان
فمن!
ينجي المدينة من دوامة الغرق
■■■
البحر لا ينسى
وينسى وجهه القمر
البحر مرآة النجوم
ويجلو وجهه السحر
وكل نجم له في البحر لؤلؤة
تنام في خفر وتستتر
قال صيادٌ للؤلؤة يهيم بها
لو أن البحر ينكسر
■■■
البحر يدفع بالشهود
لكي يبرئ ماءه من هول ما ارتكبا.
فيجيء دوري الطريق
وبعده
عصفورة القرميد،
من وقفت على الشرفات قبل سقوطها
شال الصبية
لم تزل مجهولة القسمات والبصمات
يتبعها قميص
دامي الصرخات يفتح ألف جرح
ألف شباك على الذكرى
ويعيد دمع الأمهات
يضيء في سيف السؤال
هل كان من سبب لرحيلهم عبثاً
ببيروت
هلّا عرفت لموتهم سبباً؟
■■■
حضروا وإن غابوا
غابوا وإن حضروا
يا حادي الأعمار
كيف العمر يختصر؟
صور لأسماء
وأسماء لها صور؟!
وأقول يا بحر المدينة
لا تكن متفرّجاً ومحايداً
كن حاضراً من أجلهم، كن صوتهم، كن لونهم، كن أبيض مثل الحياة
كن عادلاً، في حفظ حصتهم من الطرقات
من مطر ومن شمس
ومن حلو الترنّم في تراتيل الصلاة
واسمح لهم أن يعرفوا
بأنهم لم يخطئوا
بل أخطأتهم صدفة تُدعى النجاة.
وافتح لهم أبواب ملحك
ربما
يجدون طريقاً للتوغل لو مجازاً كي يروا
وجه الجناة
رتّب بحكمتك القديمة
معطيات الاحتمال
أعطها يا بحر فرصتها
لتزيد خيطاً واحداً في ثوب فرحتها
ولك الخيار
بأن تحدّد أنت وحدك
موعداً للاحتفال
أعطهم يا بحر فرصتهم
واقتطع من بعدها ما شئت
من حقّ لهم؛ في أن يعودوا سالمين.
حقّ التأمل في المدى المفتوح
فوق مياهك الزرقاء
وحقهم في أن يربوا نجمة،
ويدلّلوا قمراً،
وبناموا هادئين.
■■■
أعطني يا حب وقتاً
كي أبدّده على اللاشيء
أو أورّعه على الشجر الفقير على الدروب المُقفرات
وقتاً له لون يميّزه
بني كلون الأبجدية غامق
أو أزرق مثل الظهيرة
أخضر كالقمح
حين يموج مثل البحر
في عين الطفولة،
أو ربما لون الذي لا لون يشبهه،
كلون المستحيل
خذ بالمقابل
كل ما ألممت من ماضٍ مضى
كل ما دحرجت من فوضى
على سفح الصهيل.
■■■
في لوم بيروت
نمضي في تردّدنا
نلقي بالملام عليها ثم نَعتذرُ
فبعدَ بيروت لا وصف لحالتنا
فلا فصول
ولا صحو، ولا مطر
وبعد بيروت
لا عقد لرابتنا
فلا نفير، ولا كر، ولا ظَفَر
وبعد بيروت
لن يسعى بنا ركبٌ
الى السمو، وفيها المجد يختصر
في كل هيجاء
لها فرس
في كل سراء
لها وتر
ولها الذين على حيطانها
ناموا
ولها الذين على أسوارها
سهروا
ولها الذين إذا ضاقت بهم
حرب
صاحوا لنا بيروت
وانتصروا...

* لبنان/ فلسطين

الشامـــان الأزرق

محمود هدايت *

إلى سيرغي باراجانوف دائما
«اكتب أبياتاً مثل شخص يموت»
(مانويل باندييرا)

القنافذ أزهار أيضاً
كرادلة الليل الهيروغليفي
سلالةٌ ذهبٍ مُعربد
في مؤتمرٍ
المعادن الليليّة.
يا إيروس الضباب المسموم تفصد في وجهي...
عابد عازرية حاخام شخشاخ الإبادة
قررْ أن يموت هناك؟
فولد قريب منه، هنا!
كآبة الريح المحارية
هذه القصيدة
جذور سامّة،
براءة حجر يتأمل موته في خاتم شامان.
في الحليب الأسود
عين ميّت مفتوحة باتساع تأكل العالم،
تُزخرف الأدمغة بنشارة نظرتها،
صورة شخص مجهول،
يقضم سحلية النوراة المُجنّحة -
مات فجأة في هذه القصيدة.
الزهرة قنفذ.
القنفذ زهرة.
ينفتح، ينغلق.
كما فرج الليل
إغماضة رملية في صحراء الرغبة.
■■■
كشمس تتمزّق في عيون عميان،
تذكارات رملية الأصداء،
بيوغرافيا اسم بلا وجه،
مبتة داجنة للأشكل،
ذُوب حجرية.
«يد الساحر الأرمني قنفذ وزهرة
وجهٌ يلحس
ندوبه بلسان فهد أسود
علّةٌ يتذكر اسمه.
يد الليل
حبال سيرك النار وثنية.
اليد قبل الاسم حيوان بلا وجه
الهواء بلا سواحل.
■■■
من غبار عظام الوعول
يبتعث الشاعر روحه الشامانية
ثم ينثرها في الهواء،
دواءً للعالم،
كجنينٍ يُلاكم القمر في عين أمه.
لا يوجد ربّ في هذا الموت.
لا يوجد موتٌ، وإنّما قنفذ لا غير.
كم تبقّى من موتي
المسطور في هذه القصيدة؟
الاسم
هو السماح
للوجه بأن يموت
بدا أسطورية.
ماذا يتبقّى من الله بعد إكمال قراءة هذه القصيدة؟
خرائب سدوم هالة هذا العالم.

* العراق

«تنويعات بصرية» للفنان كريم سعدون

رواية

زياد محافظة يقتحم «منتجع أصحاب الفخامة»

بعد عقد ونصف عقد على اندلاع «الربيع العربي»، يعود سؤال مصائر الحكّام الذين أطاحتهم الانتفاضات من بوابة الرواية. في «خيط البارود»، يقتحم زياد محافظة منتجعاً متخيلاً يؤوي رؤساء معزولين، مستحضراً أجواء «عشرة عبيد صغار»: شخصيات محاصرة بماضيها، تنتظر مصائرها، فيما يتحوّل الملاذ الفاخر تدريجاً إلى فخ

مهدي زلزلي

يقتفي زياد محافظة في روايته «خيط البارود» (دار فضاءات للنشر والتوزيع)، أثر الحكام السابقين، الخارجين من جنة الحكم بغير إرادة منهم، مقتحماً عزلتهم في منتجع متخيّل، ليرصد يومياتهم في ذلك المَنفى الساحر الفاتن حيث تجتمع الرفاهية المطلقة مع الذكريات المؤلمة للسلطة الأفلة والمجد الضائع.

في مقدّمتين منفصلتين، يقدّم الكاتب الأردني لقارئه لمحة عن أجواء المكان، حيث «لا ألم سوى ذاك المُنساب من أصابع الحسناوات وهن يدلّكن جسدك بزيت دافئ»، و«لا ضجيج سوى ما تخلّفه أجنحة الفراشات»، و«لا حشود ولا احتفالات ولا جواسيس ولا وشاة»، قبل أن يعلمه بهوية الذين خُصّص هذا المكان الرائع لاستقبالهم دون سواهم، وهم «أولئك الذين يأخذون حصّتهم الكافية من الربيع وأشعة الشمس ويتركونك تمتصّ الحزن بائساً ووحيداً».

«مكافأة نهاية الخدمة» ام فخّ للكآبة؟

قد يتساءل القارئ في البداية عن مغزى استفزاز الكاتب له عبر تكريم هذه الفئة بما يشبه «مكافأة نهاية الخدمة»، ولكن الغوص في صفحات الرواية سرعان ما يحيله إلى تهافت شهوة الرفاهية المطلقة أمام شهوة السلطة والحكم، بحيث تفرغ الأولى مساحة أوسع للكآبة والانهيار النفسي عند من فقدوا الثانية على حين غرة، فضلاً عن تبدّل الأجواء وتسارع الأحداث في الفصول الأخيرة من الرواية على نحو يعكّر صفو الحياة في «الملاذ الأمثل».

وفي هذه الفصول الأخيرة تحديداً، لا بدّ من أن تحضر في ذهن القارئ رواية أغانا كريستي «فخّ لم يبقَ أحد»، أو المسلسل اللبناني المُقتبَس عنها «عشرة عبيد صغار»، إن كان قد قرأ الرواية أو شاهد المسلسل بنسختَيه القديمة (1974) أو الحديثة (2014)، من دون أن يتجاوز الأمر التقاطع الجزئي المتمثل في انتظار الشخصيات لمصائرها السوداء المتتابعة والبحث عن منفذ للخلاص ولو على شكل فوهة سرداب غامض على تخوم المنتجع.

«ربيع عربي» ام ظاهرة عالمية؟

صدور الرواية بعد عقدٍ ونصف عقد من اندلاع أحداث «الربيع العربي» الذي لم تُعرَف له نهاية بعد، يجعل الربط بينهما ممكناً، لولا أن الكاتب وزّع شخصياته من الحكام المعزولين على أربع رياح الأرض، واضعاً في أسمائهم ما يكفي من التنوع الدالّ. إلى جانب بيرق شاكر وفؤاد الأيوبي وجوزيف الرضواني وسهيل الزبيق والأمير طالب شكيب البدر، هناك رشيدي مامادو الحكيم و«الرئيس الهادر» وكالونجا موباساي ونيكولاس يادوفان وخوان خوسيه ورادو ميتروفيتش وجيمس بي أرثر وستيلا مانداري، في ما يبدو أنه محاولة لإضفاء بعد إنسانيّ عالمي يتجاوز المنطقة الجغرافية التي يعيش فيها الكاتب والأمّة التي يكتب بلغتها، فالديكتاتورية ظاهرة عالمية تتجاوز كل الحدود والتصنيفات واللهويات.

رواية تبحث عن الإنسان خلف الخراب

وإذا كانت الأحداث في الخط الرئيس داخل المنتجع لا تتسارع إلا في الفصول الأخيرة، فإنّ ما يعوّض ذلك هو الخط الزمني الآخر الذي يقوم على الاسترجاع ويعرّفنا بماضي الشخصيات، حين يستعرض السارد مسار كل شخصية وصولاً إلى كرسي الحكم، ثمّ إلى المنفى الإجباري، بالتفاصيل المشوقة، أو يترك للشخصية القيام بذلك بنفسها في مواضع محدّدة.

شخصيات متمايزة والبطولة لمامادو الحكيم

في ظل التشابه الكبير في سيَر الحكام الديكتاتوريين وشخصياتهم عبر التاريخ، يتساءل القارئ عن مدى قدرة الكاتب على رسم صورة مستقلة ومتمايزة لكل من شخوصه من دون أن يقع القارئ في فخّ الخلط بينها. ولكن الكاتب ينجح فعلاً في ذلك، صانعاً لكل شخصية صورتها المتفرّدة بكل سماتها وتفاصيلها وسلوكياتها المتجانسة، مع الاحتفاظ بنقاط الالتقاء البديهية، ضمن مساحة سردية شبه متساوية منحها لكل من شاكر والرضواني والأيوبي والرئيس الهادر، مقابل بطولة واضحة لرشيدي مامادو الحكيم، واكتفاء بقية الشخصيات بحضور رمزي في خلفية الأحداث.

وإن كان التمايز حاضراً بين شخصيات الرواية على مستوى التفاصيل، فإن تمايزاً أكبر وأعمق يفصل مامادو الحكيم عن بقية الشخصيات، وهو تمايز يزداد حضوراً كلما تقدّم القارئ في صفحات الرواية، قبل أن يكرّس مامادو الحكيم في ختامها بطلاً صريحاً لها، بما يفسّر عبارته التي يكرّرها على امتداد صفحات الرواية حتى تكاد تغدو لازمة: «فخامة الرئيس رشيدي مامادو الحكيم... هذا هو اسمي، وأحبّ أن أنادى به كاملاً غير منقوص».

إلى جانب الحكام المعزولين، تحضر في الرواية شخصيات رديفة على مساحة لا بأس بها من السرد، ولكل منها حكايتها التي تتقاطع مع حكاية الشخصية التي ترتبط بها من الشخصيات الرئيسة، وهي: العقيد جاسر، المرافق الشخصي لجوزيف الرضواني ولأبيه من قبله، ولبيندا زوجة الرضواني، ونسرين زوجة بيرق شاكر.

سلاسة وتشويق واقتباسات

الى سلاسة السرد وانسيابيته، ونسبة التشويق العالية، تتميز الرواية بلغتها المتينة والصور البيانية المُستخدمة بإحكام وفي مواضعها المناسبة لتوضح المعاني وتقرب الأفكار وتجعل الحكاية أكثر جمالاً وتأثيراً. وإذا كانت ظاهرة استهلال الفصول بحِكَم وعبارات تتماهى مع أحداثها ظاهرةً دخيلة على الرواية تنتصر للوعظ على حساب السرد، وتفسد على القارئ متعة استخلاص الحكمة بنفسه، فإن لها في هذه الرواية شأناً آخر، لسبب بسيط هو أن العبارة التي تتصدّر كلّ فصل من فصول الرواية الستة عشر مُقتبسة حرفيّاً من متن الفصل نفسه، وهي لا تكشف أحداثه طبعاً ولا تختزلها بقدر ما تخلق التساؤلات حولها وتحفّز أكثر على قراءة الفصل.

«خيط البارود» روايةٌ تبحث عن الإنسان خلف الخراب، وعن الحقيقة وراء الصمت، وتلاحق الشرّ من بداياته تشكّله المبكرة إلى نهاياته المدمّرة لأصحابه، الذين ظنوا أنهم أفلتوا من شرارة خيط بارود رفيع امتدّ في الخفاء ولاحقهم باشتعاله البطيء إلى حيث ملاذهم الأمثل.

دراسة

هل يمكن لكتاب ان يرمّم ما تكسره الحياة؟ في كتابها «العلاج بالقراءة»، الصادر بترجمة إيمان السعودي عن «دار كرمة»، تستكشف المؤلّفة الهندية البريطانية بيجال شاه قدرة الادب على الشفاء. من ارسطو إلى العلاج الحديث، رحلة تكشف كيف تتحوّل القراءة من متعة ومعرفة إلى وسيلة لترميم الروح وصناعة الوعي والمقاومة

من العلاج إلى المقاومة: ماذا تفعل بنا الكتب؟

تغريد عبد العال

لم تعد القراءة مجرّد ترف عابر، ولم تكن كذلك منذ زمن، فقد كان توظيفها من جانب المؤسسات والحكومات والدول يتّخذ وظيفة جوهرية للتغيير، ويأتي التثقيف واختيار الكتب أساساً لبناء مجتمع كامل. فهناك مفاهيم كاملة في عملية الوعي ترمّمها أسس سردية ونصوص محفّزة ليقظة تلك الأفكار في الوعي والمُخيّلة.

ثمّة روايات تتّخذ من مسائل قيمية محدّدة موضوعاً لها، فتحمل رسائل فكرية، يمكنها أن تصبح أداة تربوية وسياسية في آن معاً. ولكن يبقى السؤال: كيف تنظر الأمم الأخرى إلى القراءة؟ وكيف تعدّها أداة للتغيير وسط مجتمع مفتوح على فوضى وسائل التواصل التي تحمل رسائل مختلفة وأحياناً متناقضة، ووسط توجهات حديثة حول مقولة الفن للفن والثقافة للثقافة والقراءة للقراءة.

وماذا عن القراءة كعلاج نفسي أيضاً كما تشرح المؤلّفة الهندية البريطانية بيجال شاه في كتابها الجديد «العلاج بالقراءة» الصادر بـ (ترجمة إيمان السعودي) عن «دار كرمة» في مصر.

يذهب الكتاب الى اعتبار القراءة رحلة تحرّرية للعلاج من صدمات كثيرة، فتقول الكاتبة إنها نفسها تحرّرت من اضطراب ما بعد الصدمة بعدما منحها الأدب منفذاً لمواجهة العواطف الأشد ظلماً. قادها ذلك لتكون معالجةً بالأدب، فتتبّعت تاريخ هذا العلاج إلى اليونانيين القدماء.

من ارسطو إلى المستشفيات

شيّد الإغريق مكتبات لا تختلف كثيراً عن مكتباتنا المعاصرة حيث ذهب أرسطو إلى أنّ التراجيديا هي صنف من الفن يسعى إلى استثارة العواطف عبر الحبكة والشخصيات ليصل إلى التطهّر. بعدها جاء الرواقيون الذين آمنوا بضرورة عيش حياة فاضلة وتقبّل ما يقع تحت سيطرتنا والتسليم بما يتجاوزها وقالوا إن نفوس البشر لا تضطرب من الأشياء بل من تصوّراتهم عنها. وهذا أحد أساليب العلاج الكلامي، الذي ابتكره البرت اليس والطبيب النفسي آرون بيك. وفي مطلع القرن التاسع عشر، تبنّى الطبيبان بنيامين رش وجون جالت العلاج بالقراءة، تحت مظلة العلاج المعنوي، الذي يضم النجارة والحياكة والقراءة. وفي ذلك الزمن، بدأت المكتبات مكانة محورية في المؤسسات النفسية في أوروبا وبدأ العلاج بالقراءة يرسّخ جذوره في المملكة المتحدة وتواترت تجارب العلاج بالقراءة على نطاق واسع في المستشفيات.

وفي الخمسينيات، نالت هذه الممارسة نوعاً فريداً من الإقبال، حيث طرحت الباحثة الأميركية كارولين شرودز نظريتها بأنّ شخصيات القصص تترك تأثيراً جلياً في نفوس القراء، موضحة أنّ التفاعل بين شخصية القارئ والأدب التخيلي يمكن أن يساعد في إطلاق العواطف في فضاء الوعي. وفي عام 2009، أجرى باحثون في «جامعة تورنتو» دراسة لاختبار فرضية أنّ الفن قادر على إحداث تغيّرات جوهرية في سمات الشخصية. تمحورت الدراسة حول قصة «السيدة صاحبة الكلب» لتشيخوف. قسم المشاركون بين من يقرأ النص الأصلي ومن يقرأ نسخة مُعدّلة، لكن من قرأ النص الأصلي لتشيخوف أبدوا تأثراً عاطفياً أشد وخلص الباحثون إلى أنّ تحوّلات الشخصية الناتجة من قراءة الأدب تستحق البحث.

هكذا، تسرد الكاتبة التي تعمل كمعالجة للقراءة كيف توصي بقراءة بعض الروايات بحسب أزمة كل شخص، فتحكي قصة مرضى يمرّون بأزمات معينة. فهناك من يشكو من الانطواء وفقدان المعنى، وهناك من أصيبت بمرض السرطان وتود أن تقرأ عن أبطال وشخصيات روائية عانوا من نفس المرض. ولذلك كما تشرح المعالجة فإن هؤلاء الأشخاص يشعرون بتعاطف مع شخصيات الروايات التي تشبههم ويتخذون مواقف مختلفة ويبدأون بتشكيل وجهة نظر جديدة في العالم.

القراءة رحلة تحرّرية للعلاج من صدمات كثيرة

حين تصبح الكتب اداة للمقاومة

ومن هنا نستطيع القول إنّ القراءة الموجّهة أساساً حتى في صراعنا مع السردية المضادّة، فكل شيء مدروس وله سياسة تُعنى بتنظيم الأسئلة واختيار محدّد للكتب. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّه ظهرت في الآونة الأخيرة إصدارات كثيرة حول مسألة القراءة، وروايات حول الكتب، ومنها روايات تصدّرت قائمة الأكثر مبيعاً. والأنكى أنّ هذه الكتب تدور في معظمها حول الكتب والحرب وأهمية القراءة في زمن الصراعات والحروب. لكنّ هذه الروايات تود أن تقول إنّ الكتب طريق لاكتشاف المعنى وإيجاد منفذ للروح في زمن الحروب. لكن هنا يمكننا أن نلاحظ أن الكتب والثقافة التي تدمّرها آلة الاستعمار الحديثة أثناء الحروب هي أيضاً جديرة بالملاحظة والرواية والاهتمام. فهل هناك رواية أو كتاب يوثّق ما حدث لمكتبات الجنوب اللبناني التي يدمّرها الاستعمار الصهيوني؟

إن الكتب كأداة لعلاج الروح والفكر هي أيضاً هدف للإبادة، والقراءة أيضاً التي هي أداة لترميم جروح الذات قد أصبحت جرحاً وذاكرة، وعلينا هنا أن نسلط الضوء أكثر على كونها أيضاً أداة من أدوات المقاومة على الصعيد الفردي والجماعي على حدّ سواء.

برنار بيفو: القراءة قبل السؤال

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى كتاب مهم حول القراءة بحمل عنوان «مهنة القراءة» وهو حوار مع أهم مقدّم برنامج ثقافي في فرنسا وهو برنار بيفو الذي استضاف أهم وأشهر الكتّاب في العالم في برنامجه المشهور «أبوستروف » الذي كان يهدف إلى إعلام الفرنسيين بالإصدارات الجديدة. يقول بيفو عن مهنته كقارئ: «إذا لم يقرأ السائل الكتب، فإنه سيطرح أسئلة نمطية لا يستطيع أن يطوّر الحوار بسبب معرفته القليلة». ويضيف: «إن حلقة من برنامج أبوستروف تكون ناجحة حين يصبح المشاهدون أغزر بالمعلومات وأكثر ثقافة وأقلّ جهلاً مما كانوا عليه».

مع ذلك، لا يبدو أن سرّ الحوار الحقيقي يكمن في براعة السؤال وحدها، بل في الحياة التي تسبق السؤال؛ في قراءةٍ عميقة تُنضج الوعي، وتُهذّب البصيرة، وتمنح المحاور القدرة على أن يرى ما لا يظهر على السطح. فكل سؤال جيد هو في جوهره ثمرةُ مكتبة، وخلاصةُ تأمّل، وأثرُ رحلة طويلة مع الكتب.

لعل هذا ما يجعل فكرة العلاج بالقراءة تتجاوز معناها المجازي لتغدو فعلاً من أفعال استعادة الإنسان لذاته. فالقراءة لا تُكدّس المعرفة، بل تُعيد ترتيب الروح، وتُحرّر العقل من عماه. وفي رواية «العمى» لجوزيه ساراماغو، لم يكن فقدان البصر مأساة الأبطال الكبرى، بل فقدان البصيرة. لذلك ظلّ الخلاص ممكناً ما دام هناك من يقاوم العمى، طبيباً كان، أو كاتباً، أو محاوراً، لأن الجميع، في النهاية، يمارس المهمة نفسها: إعادة الإنسان إلى قدرته على الرؤية.

تدريب على البصيرة

من هنا، تصبح القراءة هي المدرسة الأولى والأخيرة لكل مُبدع؛ لا بوصفها سباقاً مع عدد الكتب، بل امتحاناً دائماً لعمق الفهم. فالكاتب الحقيقي لا يقرأ ليملأ ذاكرته، وإنما ليصقل رؤيته. يقرأ بعين تستمتع بجمال النص، وبعين أخرى تنفذ إلى معماره الخفي، وتكتشف كيف تتحوّل الكلمات إلى معنى، والمعنى إلى أثر، والأثر إلى حياة.

وربما لهذا السبب لا تبدأ الكتابة من القلم، ولا يبدأ الحوار من السؤال، بل تبدأ الأشياء كلها من قارئ عرف كيف يُبصِر. فحين تتسع القراءة، تتسع الرؤية؛ وحين تتّسع الرؤية، يصبح الإنسان أقلّ قابلية للعمى، وأكثر قدرة على أن يمنح الآخرين نوراً لا تقدر عليه العين، بل تصنعه البصيرة.

لمحة

صفية أنطون سعادة

يقدّم كتاب «أنطون سعادة: رؤيا» الصادر عن «دار سعادة» للكاتبة والباحثة اللبنانية صفية أنطون سعادة قراءةً لسيرة مؤسّس الحزب السوري القومي الاجتماعي وفكره، متتبّعاً بدايات وعيه الوطني منذ طفولته، حين رفض عام 1915 تثبيت العلم العثماني على سارية مدرسة برمانا، مُعلناً أنه ليس علم بلاده. ينتقل الكتاب إلى مرحلة اغترابه في البرازيل برفقة والده الدكتور خليل سعادة، حيث واظب على إعداد نفسه علمياً وفكرياً لبناء حزب طليعي يعيد لمنطقة الهلال الخصيب استقلالها ومكانتها الحضارية. كما يتوقف عند صورة النُّقطة له في ساو باولو عام 1929 وهو يمسك بدولاب الهواء الذي تحوّل لاحقاً إلى «الزوبعة الحمراء»، رمز النهضة التي أرادها متجاوزةً العصبيات والمذاهب والطوائف والإقطاعيات والطبقات، من أجل بناء مجتمع وطني متماسك قادر على مواجهة التحدّيات. ويُبرز الكتاب مسيرة رجل نذر حياته لقضية وطنه، فواجه السجن والملاحقة والنفي حتى الاستشهاد. ويضم الكتاب أيضاً صوراً عائلية تُنشر للمرة الأولى، إلى جانب شهادات شخصية لمن عرفوا سعادة عن قرب.

«المستأجرة»: حين يتحوّل المنزل إلى مسرح للخداع النفسي

ماذا لو كان الشخص الذي يشاركك المنزل هو آخر من يجب ان تثق به؟ في «المستأجرة»، تحوّل فريدا مكفادين البيت من ملاذ آمن إلى مختبر للخداع النفسي، حيث تختلط الهويات وتتنزعزع الذاكرة ويصبح الشك سيد المكان. رواية إثارة تساءل: إلى اي حدّ نعرف حقاً أقرب الناس إلينا؟

سلوى دبوق

تواصل الكاتبة الأميركية فريدا مكفادين ترسيخ مكانتها بوصفها واحدة من أبرز كاتبات الإثارة النفسية في السنوات الأخيرة، من خلال أعمال تقوم على التشويق المتصاعد، والشخصيات المركّبة، والنهايات المفاجئة التي تعيد تفسير كل ما سبقها.

وفي روايتها «المستأجرة» (الصادرة حديثاً عن «الدار العربية للعلوم»، ترجمة جعفر جزائرلي)، تقدّم نموذجاً متقناً لما يعرف بـ«الإثارة المنزلية»، حيث تجعل من البيت، رمز الأمان والطمأنينة، فضاءً للخوف والشك وانهيار الثقة. لا تعتمد الرواية على المطاردات أو مشاهد العنف الصريح بقدر اعتمادها على بناء توتر نفسي يتسلل تدريجاً إلى القارئ، فيجعله يشك في كل شخصية وكل حدث.

تنطلق الحكاية من أزمة اقتصادية تبدو مألوفة؛ إذ يفقد بليك بورتر وظيفته بصورة مفاجئة، فيجد نفسه عاجزاً عن تسديد أقساط المنزل الجديد الذي يشاركه مع خطيبته كريستا. لتجاوز الأزمة، يُقرر الثنائي تأجير إحدى غرف المنزل. تبدو ويتني كروس المستأجرة المثالية؛ فهي مهذّبة ومهادنة ومسؤولة، لكن سرعان ما تبدأ أحداث غريبة بالتكشف. تنتشر رائحة كريهة في أرجاء المنزل، وتوقظ أصوات غامضة بليك كل ليلة، وتختفي بعض الأغراض ثم تعود إلى أماكنها، كما يعاني من طفح جلدي ومشكلات صحية متكررة.

ومع تصاعد هذه الوقائع، يبدأ بليك بالشك في سلامته العقلية، ويشعر بأن شخصاً ما يعرف أسراره القديمة ويستعدّ لتدمير حياته بالكامل. ومن هنا تبدأ الرواية في الكشف عن طبقاتها النفسية المُعقّدة، حتى تبلغ ذروتها في سلسلة من المفاجآت التي تقلب تصوّر القارئ للشخصيات والأحداث رأساً على عقب.

حبكة تقوم على الخداع وتبدّل الهويات

تكمن قوة الرواية في بنائها السردي الذي يجعل الحقيقة مؤجّلة حتى الصفحات الأخيرة، فالقارئ يعتقد في البداية أنه أمام قصة رجل تعيس يتعرض لسوء الحظ، ثم يظن أن المستأجرة هي مصدر الخطر، قبل أن يكتشف أن الصورة أكثر تعقيداً بكثير. يعتمد السرد على تقديم المعلومات بصورة جزئية، بحيث تبدو كل حقيقة نهائية، ثم تنقلب لاحقاً إلى مجرد جزء من حقيقة أكبر.

ومن أبرز عناصر التشويق في الرواية لعبة الهويات المزدوجة، فالشخصيات لا تظهر بأسمائها الحقيقية، بل تعيش خلف كيانات مزيفة تخفي ماضياً مليئاً بالأسرار. وتكشف النهاية أن «ويتني كروس» ليست الشخص الذي ادّعت أنها عليه، وأن «كريستا» نفسها تحمل هوية مختلفة عن تلك التي عرفها القارئ منذ البداية. ولا تمثّل هذه المفاجآت مجرد وسيلة لإبهار القارئ، وإنما تُعبّر عن فكرة فلسفية عميقة مفادها أن الإنسان قد يعيش سنوات طويلة إلى جانب شخص لا يعرف حقيقته مطلقاً.

تجسيد ظاهرة «التلاعب بالإدراك»، وهي إحدى أخطر وسائل العنف النفسي

كما توظف الكاتبة تقنية السرد المزدوج؛ ففي النصف الأول يرى القارئ الأحداث بعيني بليك، فيتعاطف معه بوصفه الضحية. أما في النصف الثاني، فتتغير زاوية الرؤية، ويعاد تفسير الأحداث من منظور آخر، فتتبدل الأحكام السابقة، ويكتشف القارئ أنّ كثيراً مما اعتقده حقيقة لم يكن سوى جزء من عملية تضليل محكمة. هذا الأسلوب يمنح الرواية تماسكاً فنياً، ويجعل المفاجآت نابعة من البناء السردي نفسه لا من المصادفة.

التلاعب النفسي وتفكّك الذات

لا يكمن الخطر في الرواية في العنف الجسدي، بل في التدمير النفسي المنهجي. فالشخصية المحرّكة للأحداث لا تلجأ إلى مواجهة بليك مباشرة، وإنما تعمل على تقويض ثقته بنفسه تدريجاً. ولهذا تعتمد وسائل خفية، مثل العبث بمحتويات المنزل، وإحداث أصوات غامضة ليلاً، وإخفاء بعض الأغراض، وتعريضه لمواد تُثير الحساسية، حتى يبدو في نظر الآخرين شخصاً مضطرباً وفاقداً للاتزان.

تجسّد الرواية بوضوح ظاهرة «التلاعب بالإدراك»، وهي إحدى أخطر وسائل العنف النفسي، إذ تدفع الضحية إلى الشك في ذاكرته وحواسه، فيصبح عاجزاً عن التمييز بين الحقيقة والوهم. ومع تقدّم الأحداث، يشعر بليك بأنه يفقد السيطرة على حياته، وأن كل من حوله أصبح يشك في سلامة حكمه على الأمور. وهنا تنجح الكاتبة في نقل هذا الارتباك إلى القارئ نفسه، الذي يجد نفسه متردّداً في تصديق ما يراه البطل أو تفسير ما يحدث داخل المنزل.

كما تبرز شخصية كريستا بوصفها نموذجاً للشخصية السوسيوباثية؛ فهي تمتلك قدرة فائقة على إخفاء نواياها خلف مظهر هادئ ولطيف، ولا تشعر بالذنب تجاه أفعالها، بل ترى أنّ إزالة كل من يعترض طريقها أمر منطقي ومُبرّر. ومن خلال هذه الشخصية، توحي الرواية بأن الشر لا يأتي دائماً في صورة مخيفة، بل قد يرتدي قناع البراءة والرقة، وهو ما يجعل مواجهته أكثر صعوبة.

القيمة الفنية والرؤية الإنسانية للرواية

لا تقتصر أهمية «المستأجرة» على حبكتها المحكمة، بل تمتد إلى رؤيتها للعلاقات الإنسانية، فالمنزل، الذي يمثّل عادة رمزاً للأمان، يتحوّل إلى فضاء خانق يمتلئ بالخوف والشك، كأنّ الكاتبة تريد القول إن الخطر الحقيقي لا يأتي من الغرباء في الشارع، بل قد ينشأ داخل أكثر الأماكن ألفة. هكذا تتحول التفاصيل اليومية، مثل وجبة طعام أو رائحة في المطبخ أو صوت في الليل، إلى مصادر للقلق، وهو ما يمنح الرواية قوة نفسية كبيرة.

كما تنجح مكفادين في رسم شخصيات بعيدة عن الثنائية التقليدية بين الخير والشر؛ فلكل شخصية أسرارها ونقاط ضعفها، ولا يوجد بطل كامل أو شرير مطلق. حتى بليك، الذي يبدو ضحية في البداية، يخفي ماضياً وأخطاءً تجعل صورته أكثر تعقيداً. هذه المنطقة الرمادية تضفي على الرواية واقعية نفسية، لأن البشر في الحياة لا ينقسمون ببساطة إلى ملائكة وشياطين.

على المستوى الفني، تمتاز الرواية بإيقاع سريع وفصول قصيرة تدفع القارئ إلى مواصلة القراءة، كما توزّع الكاتبة المفاجآت بإيقاع محسوب يجعل كلّ كشفٍ جديد يدفع القارئ إلى إعادة قراءة ما سبقه في ضوء المعطيات الجديدة. صحيح أنّ بعض المنعطفات تبدو قريبة من تقاليد روايات الإثارة التجارية، إلا أن البناء النفسي للشخصيات، وإدارة التشويق، والقدرة على تحويل الحياة اليومية إلى مصدر دائم للريبة، تجعل الرواية تتجاوز مجرد التسلية لتصبح تأملاً في هشاشة الثقة الإنسانية.

تُقدّم «المستأجرة» حكاية تبدو بسيطة في ظاهرها، لكنها تنطوي على سؤال أعمق: كم يعرف المرء حقاً عمّن يشاركه سقفاً واحداً؟ لا تحتاج فريدا مكفادين إلى مشاهد عنف لتُظهر كيف يمكن لواقع كامل أن ينهار من الداخل، حجراً حجراً، من دون أن يرفع أحد صوته. وربما يكمن جوهر الرواية في أنها لا تصوّر الشر كوجه غريب يطرق الباب، بل كحضور مألوف كان يجلس على الطاولة نفسها طوال الوقت.

سجل الشعر العربي

علي فودة
رشاشُ عنفٍ وغضب

إنها القصيدة التي كانت تُتلى على المتاريس وفي الخنادق، لكاتبها الشاعر علي فودة (1946-1982) الذي كان يوزّع قصائده مع الخبز الطازج في صباحات بيروت، على امتداد خريطة النضال الفلسطيني من الفاكهاني وحي السلّم وعين الحلوة ومعسكرات الفدائيين في مغاور وحقول جبال عاملة والعرقوب المتاخم للأرض السليبة. ولد الشاعر علي يوسف فودة في الأول من نيسان (أبريل) عام 1946 في قرية قنّير قضاء حيفا، ولجأ مع أسرته على إثر نكبة عام 1948 إلى طولكرم التي أنهى في مدارسها المرحلة الثانوية، ثم انتقل إلى عمان ليكمل تعليمه في معهد المعلمين وتخرّج سنة 1966. عمل فودة بعدها مدرّساً في مدارس عمان حتى عام 1976 حيث غادر إلى بغداد لفترة وجيزة، ثم الى بيروت لينضم إلى صفوف المقاومة الفلسطينية إلى جانب عدد كبير من المثقفين والمبدعين ممن رسموا المشهد الثقافي الإبداعي في الزمن العربي المرّ.

برز علي فودة خلال فترة حصار بيروت سنة 1982 كواحد من الجيل الثاني لـ«شعراء المقاومة»، وتعمّد بدمه إثر القصف الإسرائيلي الوحشي للعاصمة اللبنانية بينما كان يوزّع صحيفة «رصيف 1981» التي أسّسها مع صديقه رسمي أبو علي على شكل نشرة ثورية مستقلة.

كان فودة مثالاً حيّاً لشاعر مشتبك بهموم شعبه، وملتزم بالكفاح المسلح وتحرير فلسطين من البحر إلى النهر. جاء في زمن الجزْر والتعب كما يقول في قصيدته «الفهد» التي غنّاها الفنان مرسيل خليفة «رشاشُ عنفٍ وغضب»، وصرخةً في وجه المتخاذلين والخونة والمطبّعين، وفهداً مطعوناً في البرية يسبح في دمه ويردّد كلمة واحدة لن يقوى العالم المستكبر كله على طمسها ومحوها واقتلاعها من روح الأحرار: فلسطين

تقديم واختيار محمد ناصر الدين

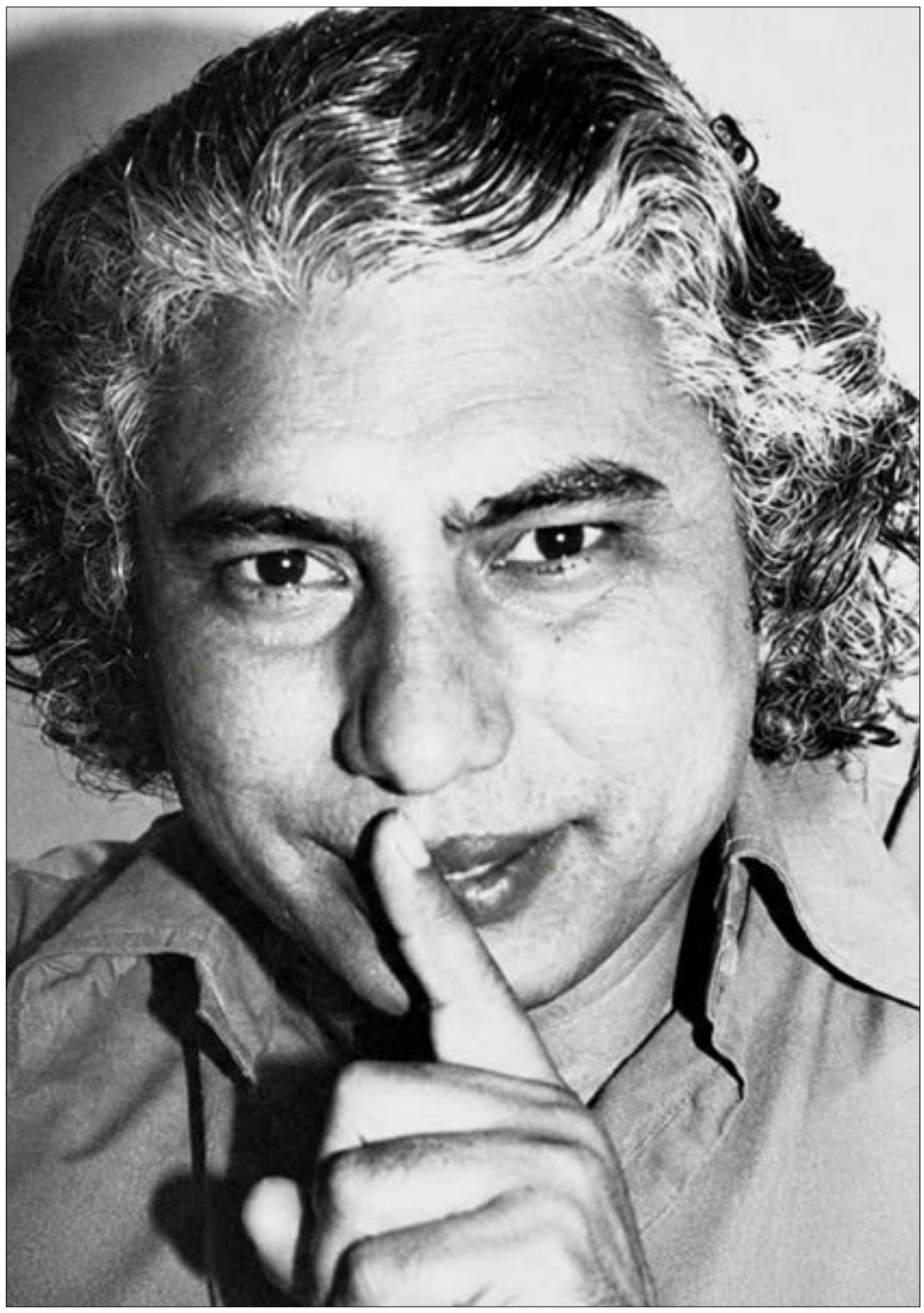

الفهد

دائمَ الخُضرةِ يا قلبي
وإنْ بانَ بعينيَّ الأَسَى
دائمَ الثورةِ يا قلبي
وإن صارتْ صباحاتي مسا
ما تروَّضتُ، ولم أعرفْ سوى الرَّفضِ.
ولكن اذكروا
أنّني الخارجُ توّاً من زنازين الدموعْ
أنَّ تاريخًا من الحزنِ،
وتاريخًا من الدمِ،
وتاريخًا من الجوعْ
ظلّ كالصخرةِ في بابي الوحيدْ
اذكروا قيدَ الحديدْ
اذكروا قيصرَ روما والعبيدْ
اذكروا... ثم اذكروا
أنني استُعبدتُ في كلِّ الحِقَبْ
إنما الآن أتيتُ...
جئتكم في زمنِ الجزرِ، وفي عزِّ التعبْ
جئتكم قنبلة تُحدث في بركتم بعضَ الصخبْ
جئتكم رشاشَ عنفٍ وغضبْ
جئتكم ممتطيًا...
فرسَ الثورةِ من أجلِ العربْ
فاذكروا...
أنني الفهدُ الذي
لا يلينْ
واذكروا دوماً بأنّي طلقةٌ جاهزةٌ للرمي
من أجلِ فلسطين!

■■■

يصدقُ أحياناً أن أذهلَ
حين أرى غزلانَ الغابةِ تأكلها النيرانْ
يصدقُ أن أخجلَ
حين أرى الطلقةَ بين ذراعي جبانْ
يصدقُ أن أشهق ألماً
حين أرى كلباً ينهشُ جثةَ غزّةَ،
سيناء،
القدس،
الجولانْ
يصدقُ أن أعتذرَ لطفلٍ عربيٍّ،
صرعته الأيدي العربية في الميدانِ -
اللاميدانْ
يصدقُ، يصدقُ... لكنّي أعلِمكم
أنَّ الفهدَ هو الفهدُ
وأنَّ الوعدَ هو الوعدُ
وأنَّ لنا موعداً في الأرضِ المحتلّةِ
بين القريةِ والخُربةِ
بين البرقوقةِ والنخلةِ
بين الزغرودةِ والفرحةِ: وسطَ الأهلِ المنسيّينْ
أسامعةٌ أنتِ فلسطين؟!
أسامعةٌ أنتِ فلسطين؟!

■■■

يتنكّرُ لي أحبابي
لا أتنكّرْ
يتغيّرُ أصحابي
لا أتغيّر
بل أتذكّر:
أنّ لنا وطنًا واحدْ
يجمعُنا
ثأراً واحدْ
يجمعُنا
ودماً واحدْ
يجمعُنا
كيف إذن أتنكّرُ، وأنا الفهدُ
بصدري طلقاتٌ
وبوجهي شحناتٌ
وبروحي طعناتٌ

■■■

لا.. لن أتنكّرَ، ولتنهمرِ اللعنات
إنّي طلّقتُ الشجنَ، الكسلَ،
وداعاً يا كسلي الأوّلَ، ووداعاً يا شجني
عشقاً ليس كراهية
إنّي اخترتُك يا وطني
حبّاً وطواعية
إنّي اخترتُك يا وطني
سرّاً وعلانية
إنّي اخترتُك يا وطني
فليتنكّرْ لي زمني
ما دمتَ ستذكرني
يا وطني الرائع. يا وطني

■■■

دائمُ الخُضرةِ يا قلبي
وإن بانَ بعينيَّ الأسى
دائمُ الثورةِ يا قلبي
وإن باتت صباحاتي مسا
فأنا الفهدُ الذي يطلبه كلُّ ملوكِ الغابةِ السوداء
منذُ اللحظةِ الأولى لميلادِ الجنينْ
إنما الفهدُ فلسطينيةٌ عيناه يا...
كيف إذن يسقطُ في هذا الكمينْ؟
حدِّثيهم يا فلسطيني أنا...
حدّثيهم يا فلسطينْ!